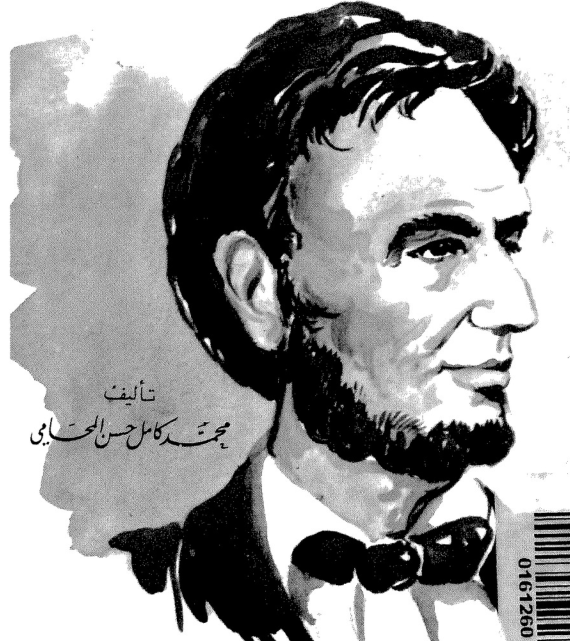
عباقرة خالدون

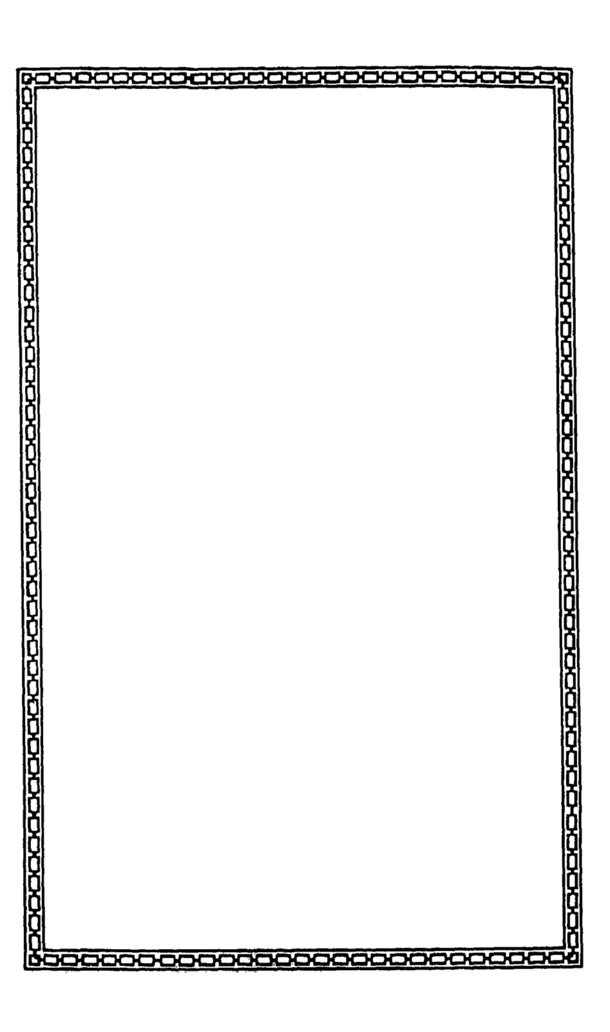
ابراهام لنكولن

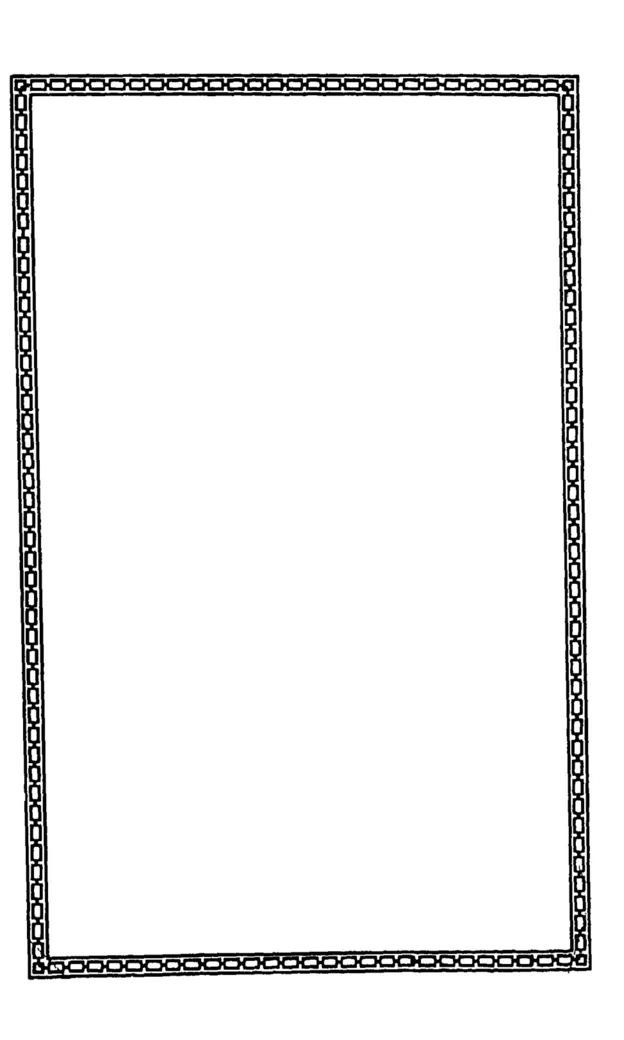


تأليف

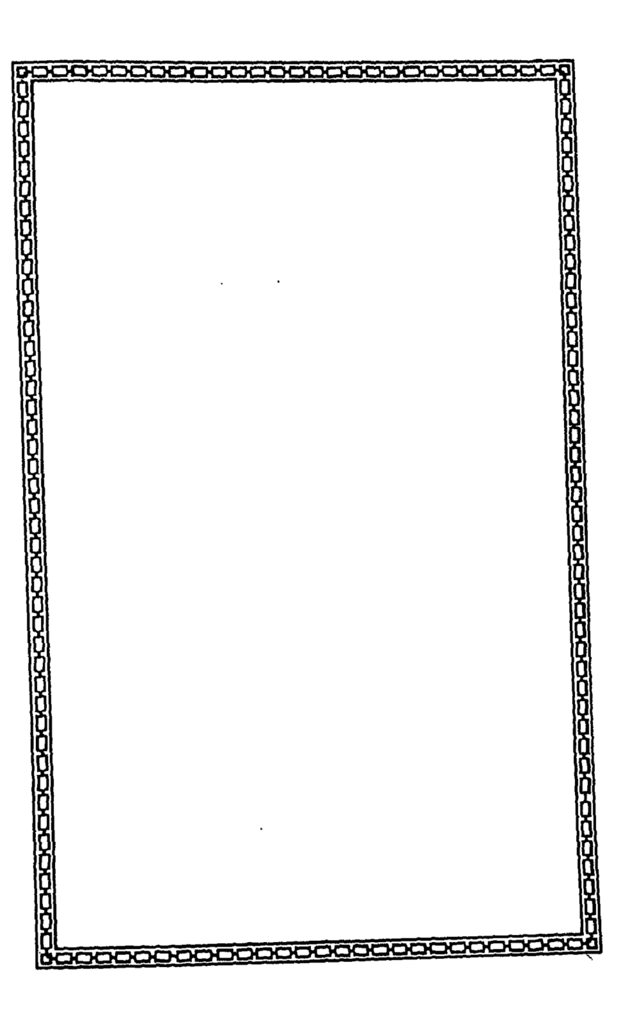
محمد كامل حسن المحامي

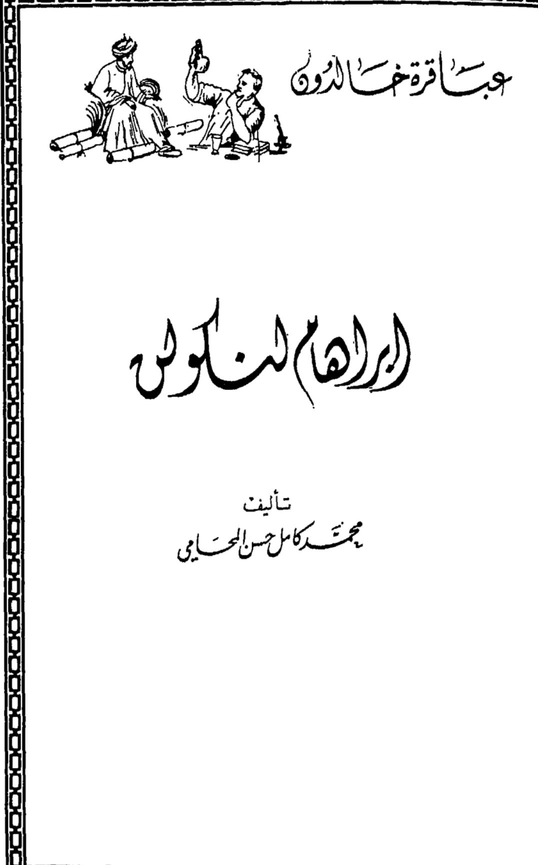
منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر بيروت





ابراهام لنكولن

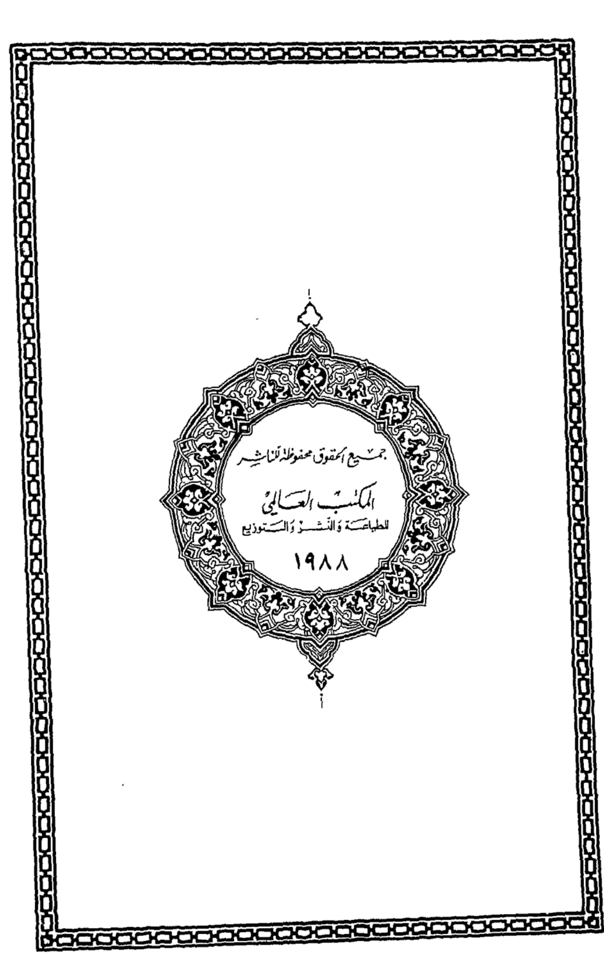




عباقرة خالدون

ابراهام لنكولن

تأليف
محمد كامل حسن المحامي



المكتب العالمي
للطباعة والنشر والتوزيع
١٩٨٨





مقدمة

العبقرية سرٌ غامض من أسرار البشرية . .

وسبب غموضه أن عدداً كبيراً من العلماء والباحثين حاولوا أن يعلموا المسبب أو الأسباب التي تمهّد لظهور أحد العباقرة فلم يتفقوا على رأي أو نظرية مُعيّنة . .

ليس من الضروري أن تورث العبقرية . فقد ثبت بالاستقراء أن السواد الأعظم من العباقرة انحدروا من أُسَرٍ ليس فيها ولا في جذورها عبقري واحد كالعالم اينشتاين والمخترع العبقري توماس ألفا إديسون . .

والعبقرية ليست مقصورة على أمة من الأمم . .

والعبقرية أيضاً ليست مقصورة على الرجال . . فهناك عددٌ غيرُ قليلٍ من النساء العبقريات أمثال (هيلين كلر)

و(مدام كوري) وغيرهما . . .

وما من شك في أن دراسة تاريخ العباقرة يهفو إليه السواد الأعظم من الناس. . لأن ظهور العبقري في عصر من العصور يُعتبر ظاهرة غير عادية . .

إن العبقري يكرِّس حياته ومواهبه وطاقات نشاطه العقلي لخدمة الجنس البشري . . فهو إنسانٌ، رجلاً كان أو امرأة ، يُفني عمره من أجل تحقيق رسالةٍ تهدف إلى إسعاد الإنسانية جمعاء وتقدّمها في مدارج المدينة .

ونحنُ نقدم هذه السلسلة الجديدة من نوعها ونُخَصّص كل كتاب منها لسرد تاريخ حياة أحد العباقرة في أسلوب قصصي عصري مشوق . .

ولقد اعتمد مؤلف هذه السلسلة الكاتب المعروف الأستاذ محمد كامل حسن المحامي على أدق المصادر وأوفاها سواء في ذلك المراجع المكتوبة باللغة الفرنسية أو الانجليزية أو الايطالية إذ أن درايته الواسعة بهذه اللغات جعلت من كتب هذه السلسلة تُحفةً ثقافية حافلة بأهم المعلومات عن حياة هؤلاء العباقرة .

كيف نكتشف العبقرية ؟. .

كيف نُنَمّيها ؟. .

ما علاقة العبقرية بالعاطفة ؟.. وهل يعرف العباقرة الحب كما يعرفه البشر العاديون ؟..

ما الفارق بين العبقرية والعظمة ؟..

كل هذه الأسئلة وغيرها سوف يجد القراء إجاباتها الشافية في كتب هذه السلسلة التي تُعتبر فتحاً جديداً في عالم الثقافة .

إن تاريخنا العربي مليءٌ بالعباقرة العظام الّذين مجّدهم الفلاسفة والعلماء الغربيون . . وكان للعباقرة العرب أكبر الفضل على الثقافة الاوروبية . .

ومن هؤلاء ابن سينا وابن خلدون وابن بطوطة وغيرهم .

ومن العباقرة العرب الخالدين من سجّل أمجاداً في الميادين العسكرية والاجتماعية مثل صلاح الدين الأيوبي والبطل اللبناني الأصل هنيبعل الذي عرف في التاريخ باسم هانيبال وهو أوَّل من عبر جبال الألب بجيشه ليضع حداً لطغيان الرومان وتحرشهم بالشرق .

كل هؤلاء وغيرهم سوف تضُمُّهم سلسلة : «عباقرة خالدون» التي رُوعِيَ في كتابتها أن تلائم جيلنا الصاعد

وتكون خير عونٍ له ليشقّ على هَدْيها طريقه في الحياة . .

ونحن نرجو من القراء أن يوافونا بآرائهم عن كل كتاب وألا يبخلوا علينا باقتراحاتهم . .

والله جلّت قدرته هو الموفق لما فيه خير العرب أجمعين .

المكتب العالمي



أبراهامُ لِنكولنُ هوَ الرئيسُ السّادِسَ عَشَرَ للولاياتِ المُتّحِدَةِ الأمريكيَّةِ.

اسْتَمَرَّتْ رِئاسَتُهُ مِنْ سَنَةِ ١٨٦١ إلى أن قُتِلَ سَنَةَ ١٨٦٥ ميلادِيَّة.

وعلى الرَّغمِ مِنْ أنَّ هَذِهِ الرِّئاسَةَ لَمْ تَسْتَغْرِق إلاّ خَمْس سَنَواتٍ فَحَسْبُ، إلاّ أنَّها لَعِبَتْ دَوْراً أَساسيّاً وَجَذْرِيّاً في مُسْتَقْبَلِ أمريكا الشَّمالِيَّةِ وَيُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ ما تَتَمَتَّعُ بِهِ حالِيّاً أمريكا الشَّمالِيَّةُ مِنْ وَحْدَةٍ وقُوَّةٍ ورَخاءٍ يَرْجِعُ الفَضْلُ الأكبرفيهالى لِنكولِنْ، ذلِكَ الرَّئيسِ العَبْقَرِيِّ الفَذِّ.

ودِراسَةُ تاريخِ حَياةِ لِنْكُولِنْ يُزيدُنا اعْتِقاداً بأنَّ العَبْقَرِيَّةَ لا تُورَثُ، وأنَّ الغِنى لا يُساعِدُ على

ابْرَازِ العَبْقَرِيَّةِ وإظْهارِها ، كما أنَّ الفقْرَ لا يَعْمَلُ على طَمْسِهَا ، بَلْ رُبَّما كانَ الفقْرُ مِنْ أهَمِّ أسْبابِ إظْهارِ العَبْقَرِيَّةِ لَدَى النُّفوسِ القَوِيَّةِ .

إنَّ توماسَ لِنْكولِنْ والدَ أبراهامَ لِنكولِنْ كانَ رَجُلاً أُمِّياً لم يَدْخُلْ مَدْرَسَةً قَطُّ ، ولم يُتْقِن عَمَلاً مُعَيَّناً ، بلْ كانَ يَعْمَلُ أحياناً في النِّجارَةِ البَسِيطَةِ ، وأحياناً أُخرى بِفِلاحةِ الأَرْضِ .

أمَّا (نانسي هانكس Nancy Hanks) والِدَةُ أبراهامَ فكانَتِ امْرَأَةً مَجْهولةَ الأصْلِ والنَّسَبِ ، ويَقولُ بَعضُ المؤرِّخين إنَّها كانَتِ ابْنَةً غير شَرْعِيَّةٍ .

وقَضَتْ أمُّ لِنكولن نَحْبَهَا وَهُوَ طِفْلٌ صَغيرٌ ، ولكِنَّ القَدرَ ساقَ لَهُ امْرأَةً طَيِّبَةً رَحِيمةً كانَ اسْمُها (سالي بوش) وَهِي الَّتي تَزوَّجها أبوهُ بَعْدَ وفاةِ زَوْجتِهِ الأولى .

إنَّ الغَالبِيَّةَ العُظمى مِنَ النَّاسِ تَتَحَدَّثُ عَنْ

قَسوَةِ زَوْجةِ الأَبِ ، وَعدَمِ مُبالاتِها بِمستَقبَلِ أبناء أو بَنات زَوْجِها مِنْ زَوْجةٍ أُخرى ، ولكِنَّ (سالي بوش) كانَتِ امْرَأَةً عَظيمةً حقاً ، فَقَدْ كانَ لَها الفَضْلُ الأَعْظمُ في رعايَةِ ابْراهامَ لنكولن وتَشْجيعِهِ على شَقِّ طَريقِهِ صُعُداً في الحَياةِ ، لأَنَّها أدْرَكَتْ حَقيقَةَ شَخْصيَّتِهِ ، وفَطِنَتْ إلى أنَّهُ كانَ بُرْعُماً لِلعَبْقَرِيَّةِ وأَنَّها إذا أَحسَنَتْ رِعايَتَهُ تَفَتَّحَ وازْهَرَ ، فَلَمْ تَدَّخِرْ وُسْعاً في أَن تَكْلأَهُ بِعَطْفِها وعِنايَتِها وتَشجيعِها المُسْتَمِرِّ .

حاوَلَ بَعضُ العُلماءِ أن يَكْشِفوا عَنْ أَسرارِ العَبْقَرِيَّةِ ، فاتَّفَقَ لَفيفٌ كبيرٌ مِنْهُمْ على أنَّ السَّوادَ الأَعْظَمَ مِنَ العَباقِرةِ يكونُ الواحدُ مِنْهُمْ مُتوَسِّطَ الطُّولِ كبيرَ الرَّأسِ ، ولكِنَّ أبراهامَ لِنْكولَن شَذَّ عَنْ هَذِهِ القَاعِدَةِ ، فَقَدْ كانَ فَارِعَ الطُّولِ بِشَكْلٍ غَيْرِ عادي !.

كانَ طول أبراهامَ لِنْكولن ستّ أَقْدامٍ وأرْبَعَ بوصاتٍ ، كما كـان رَأْسهُ صَغيرا نِسْبِيّاً اذا قـورنَ بِهَذا الطولِ الفارِعِ .

ويُمْكِننا القَوْلُ بأنَّ أبراهــامَ كانَ - وسَيَظلُّ أبَداً - أطولَ عَبْقَرِيٍّ أنجَبَتْهُ البَشَرِيَّةُ ، ذَلِكَ إِذا كانَ للطّولِ أو القِصَرِ أهمِّيَّةٌ تُذْكَــرُ في وَزْنِ قيمَةِ الإِنسانِ .

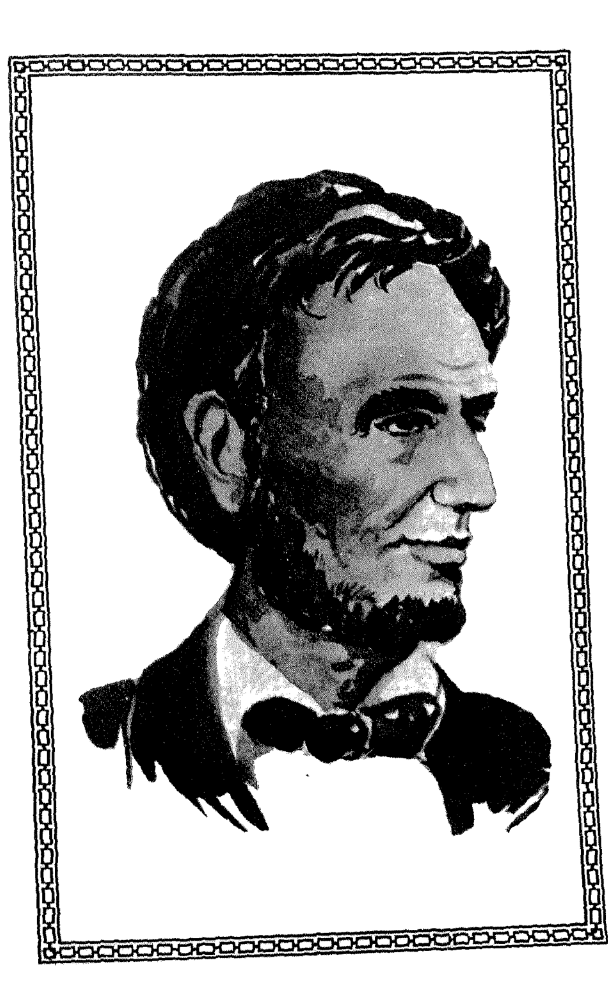
وانْتَهت حَياةُ لِنكولْن بِمأساةٍ أليمةٍ ، وقَــدْ شَغَلَتْ جَرِيمَةُ قَتْلِهِ الرَّأْيَ العامَّ الأَمريكيَّ والعالَميَّ سَنَواتٍ طَويلاتٍ ، لِذَلِكَ سَنُفْرِدُ لِمقْتَلِهِ فَصْلاً في هذا الكِتابِ .

لَقَدْ أُلِّفَتْ كُتُبٌ عَديدَةٌ عَنْ أَبراهَامَ لِنكولن ، ولَقَدْ قامَ أَحَدُ النّاشِرين بإِحصاءِ الكُتُبِ الّتي صَدَرَتْ عَنْ هذا العَبْقَرِيِّ فَوَجَدَها تزيدُ عَنِ السَّبْعينَ مؤَلَّفاً ، وذَلِكَ عَدَا الرَّسائِلَ والكُتَيِّباتِ الّتي صَدَرَتْ عَنْهُ ،

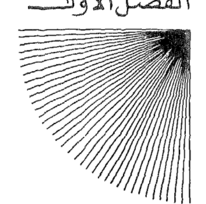
وَهِيَ لا تَكادُ تَقَعُ تَحْتَ حَصْرٍ .

ونَظَراً لأَنَّنا نَتَحَرَّى الدِّقَّةَ وأَمانَةَ التَّحْقِيقِ في تأليفِ كُتُبِ هذهِ السِّلْسِلَةِ ، كما أَنَّنا آلَيْنا على أنفُسِنا أن نُرَكِّزَ في كُلِّ كِتابٍ مِنْها على أَهَمِّ وأَصْدَقِ الوَقائِعِ والمَعْلوماتِ ، فَقَدْ بَذَلَ النَّاشِرُ مَجْهوداً مَشْكوراً لِتَزْويدي بِكافَّةِ المَراجِعِ الَّتي أُلِّفَتْ بالإنكليزيةِ والفَرَنْسِيَّةِ والإيطالِيَّةِ ، وسَنُشيرُ إلى بَعْضِ هَذِهِ المَراجِعِ عِنْدَ الكِتابَةِ عَنْ لِنكولن ، حَتَّى إذا أَرادَ بَعْضُ القُرّاءِ الاسْتِزادَةَ مِنْ مَعْلوماتِهِم رَجَعُوا إلَيْها .

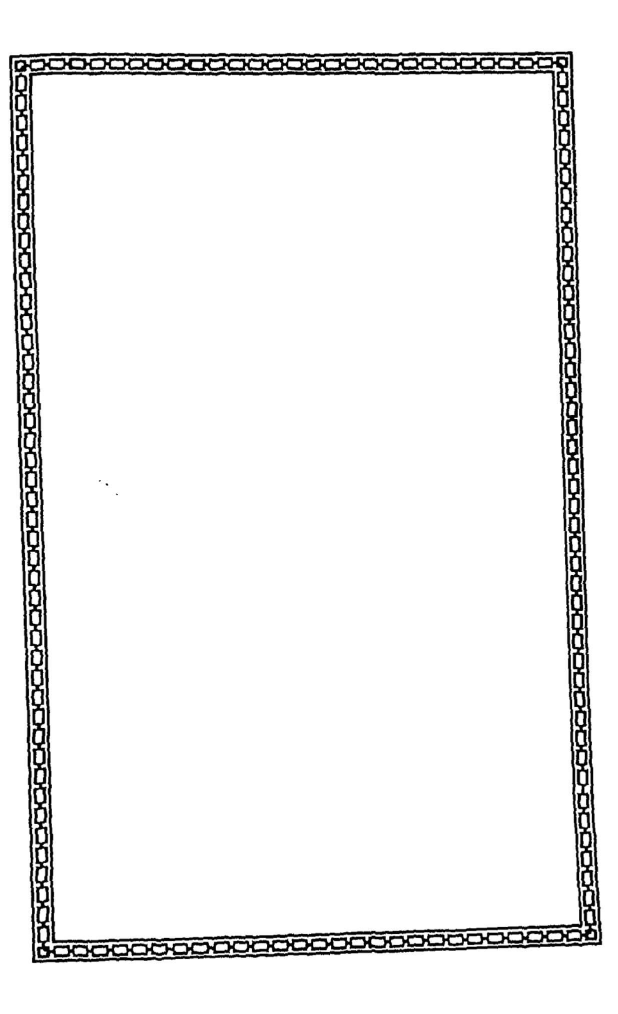




الفصل الأول



طفولة قاسية



يَنْحَدِرُ أبراهامُ لنـــكولنُ من أسرةٍ نَزَحَتْ إلى أمريكا الشَّماليَّةِ سنةَ ١٦٣٧ للميلادِ .. وكان عميدُ هذه الأسرةِ رجـــلٌ مُزارِعٌ اسمُهُ (صاموئيل لِنكُولن Samuel Lincoln) .

وتَعاقَبَتْ ثلاثةُ أجيالٍ من أُسْـــرَةِ المُزارِعِ لنكولنَ حتَّى وُلِدَ(توماس لنكولن Thomas Lincoln) وهو أبو العبقريِّ الفذِّ أبراهام لنكولن بطل كتابِنا هـــذا .

ولم تنجَحْ أُسرَةُ لنكولن بوجهٍ عامٍّ في تكوينِ ثروةٍ خاصَّةٍ بها كما نجَحَ الكثيرُ من الأُسَرِ التي هَاجرَتْ من أوروبا إلى أمريكا الشَّماليَّةِ ..

ولا يَرْجِعُ ذلكَ إلى جَهْلِ رجَالِها ، إذْ لم يكُنِ التَّعليمُ مُنتشِراً في ذلكَ الوقتِ ، كما لم يكنْ لازمـــاً

لِكي يَشُقَّ الرَّجلُ طريقَهُ في الحياة ..

وما زالَ العِلمُ حتَّى أيامِنا هذهِ لا يُعتبرُ شَرطاً أَساسِيّاً لِكَيْ يُكوِّنَ الإنسانُ ثروةً ذاتَ بالٍ .. بل لعلَّ أكثرَ الناسِ عِلماً وثقافةً في مَدِنيَّتِنَا الحديثةِ هُمْ أقلُّهُمْ حَظّاً منِ الثَّروةِ .

ولكِنَّ رِجالَ أُسرَةِ لنكولن كانوا جَميعاً بِطبيعتِهِمْ مُسالِمين ، لا يَميلونَ إلى المُغامَرَةِ ، كما كانوا أيضاً شُرَفاءَ يَحظَوْنَ باحترامِ النَّاسِ وثِقَتِهِمْ ، وتَكوينُ الثَّروَةِ في ذَلِكَ الوَقتِ كانَ يَحتاجُ إلى روحِ المُغَامَرَةِ وعَدَمِ التَّمسُّكِ كثيراً بِمبادىءِ شَرَفِ المُعَامَلَةِ أوْ المبالاةِ بِحُبِّ النَّاسِ وتَقْديرِهِمْ .

وكانَ الجدُّ الأكبرُ (صاموئيل لنكولن) قَبْلَ رَحيلِهِ إلى أمريكا الشَّماليَّةِ يَعْمَلُ حائِكاً لِلثِّيابِ في انكلترا ، أوْ بِعِبارَةٍ أُخرى كانَ مُجرَّدَ أجيرٍ عِنْدَ حائِكٍ للثِّيابِ ، فلمَّا هاجَرَ إلى أمريكا الشَّماليَّةِ ،

لَبِثَتْ ذُرِّيَتُهُ تَتَنَقَّلُ حَوالَيْ قَرْنَيْنِ مِنَ الزَمانِ في وِلاياتِ مساتشوسيتس ونيوجيرسي وبِنْسلْفانيـــا وفَرْجينا .

وخَطَرَ لِجَـدٌ لِنكولنُ - وكانَ اسْمُهُ أَبراهامَ أَيضاً - أَنْ يَقومَ بِمُغـــامَرةٍ لِلبحْثِ عَنِ الثَّروَةِ ، فَعَبَرَ الجِبالَ إلى (كنتكي) وأَقامَ هُناكَ .

ولَمْ يُحَقِّقِ الجَـــدُّ شَيئاً مِنْ أَحلامِهِ ، إذْ لَمْ يَنْجَحْ في تَكْوينِ ثَروَةٍ عَريضَةٍ كما كانَ يَتَمَنَّى ، وإنْ كانَ قَدْ نَجَحَ في شَيْءٍ ففي إنْشــائِهِ مَصْنعاً صَغيراً لِعَمَلِ بَعضِ الأدَواتِ الخَشَبِيَّةِ البَسيطَةِ .

ورُزِقَ الجَدُّ بابْنٍ أَسْماهُ توماسَ ، وَهُــوَ أَبو أَبراهامَ لنكولنْ العظيمَ .

وكَبُرَ توماسُ ، وكانَ يُشارِكُ أَباهُ في مصنَعِ النجّارَةِ ، حتى قُتِلَ الأَبُ ، بِيَدِ جَماعَـــةٍ مِنَ الهُنودِ الحُمْرِ .

وتَقابَلَ توماسُ مَعَ نانسي هانكِس ، فأَحبَّها ثُمَّ تزوَّجها سَنَةَ ١٨٠٦ ، تزوَّجها غيْرَ مُكترثٍ بِما كانَ يَقولُهُ النَّاسُ مِنْ أَنَّها كانتِ ابنَةً غيْرَ شرْعيَّة .

ولَكِنَّها أثبَتَتْ أنَّها كانَتْ زوْجَةً وفيَّةً شَريفَةً ، شاطَرَتْ زوْجها شَظَفَ العيشِ ومَرارَةَ الحيـــاةِ .

إنَّ أغلَبَ المؤلَّفاتِ الَّتي صَدرَتْ عَنْ ابراهامَ لِنكولنْ لَمْ تتحَدَّثْ عَنْ طُفولَتِهِ ونَشأَتِهِ ، ولكِنَّ المؤلِّفَ الأَمريكيَّ (كارلَ سَنـــدبرج) ذَكرَ مَعلوماتٍ دَقيقَةً عَنْ طُفولَتِهِ وتوَسَّعَ في ذلِكَ ، وسَنختارُ زُبدَةَ ماكَتَبَ المؤلِّفُ .

لَمْ يَكُنْ لأَبراهام لِنكولن إخوَةٌ أو أخواتٌ لِيُشاهِدوا مَجْدَهُ وعظَمَتَهُ ، كانَتْ لَهُ أُختٌ كُبرى وأَخٌ أَصغَرُ مِنْهُ اختَطَفَهُما المَوْتُ في حداثَتِهِما .

كانَتِ الأُسرَةُ الصَّغيرَةُ تُقيمُ في بَلْدَةِ (اليزابيث) فَتَعَرَّفَ توماسُ على رَجُلٍ ثَرِيٍّ طَيِّبَ القَلبِ هُوَ (جون براون فيلد) دَعاهُ إلى تَوَلِّي أَعْمالِ النجّارَةِ في مَزْرَعَتِهِ.

وكانَتْ مَزْرَعَةُ هـذا الرَّجُلِ في قَرْيَةٍ صَغيرَةٍ على مَقْرُبَةٍ من مَدينَةِ (هـودجين فيل Hodgen ville) في كنتكي.

وأَقامَ توماسُ وعائِلَتُهُ الصَّغيرَةُ في مَخْزَنٍ للغِلالِ بِضْعَةَ أيّامٍ، حَتّى تَمَكَّنَ مِنْ بِناءِ كُوخٍ صَغيرٍ تَحْتَ شَجَرَةِ تُفّاحٍ.

ويَقولُ المؤَلِّفُ (كارْلُ سندبرج) في وَصْفِ هذا الكوخِ الذي وُلِدَ فيه أعْظَمُ رَجُلٍ في تاريخ الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأمريكِيَّةِ:

« كانَ كوخاً أَقَـلُّ ما نَصِفُهُ بِهِ أَنَّهُ حَقيرٌ، وكانَتْ أَرْضُهُ مِنَ الطِّينِ والحِجارَةِ الصَّغيرَةِ، ولَمْ

تَكُنْ بِهِ سِوى نافِذَةٍ واحِدَةٍ ضَيِّقَةٍ .

وكانَتْ مَدْخَنَةُ هذا الكوخِ مَصْنوعَةً مِنَ الطِّينِ وعِيدانِ الغابِ !.

لَمْ يَكُنْ فِيهِ أثاثٌ يُذْكَرُ ، سِوى مقْعَدٍ خَشَبيٍّ واحِدٍ . ! وكانَ الفِراشُ الذي وُلِدَ عَلَيهِ أبراهامُ لِنكولن لا يَرْتَفِعُ عَنْ أرضِ الكوخِ المُتْرَبَةِ بأكْثَرَ مِنْ نِصْفِ مِترٍ !.. وقَدْ صَنَعَ توماسُ لِهَذا الفِراشِ أرْبَعَ قَوائِمَ مِنْ جُذوعِ الأشجارِ ، أمّا الحَشِيَّةُ والوِسادَةُ ، فَكانَتا مَحْشُوَّتَيْنِ بالقَشِّ القاسِي !.

* * *

وُلِدَ أبراهامُ لِنكولن في هذا الكوخِ المُتَواضِعِ في صَبيحَةِ اليومِ الثاني عَشَرَ من شَهرِ فِبرايِرْ — شُباطَ — عامَ ١٨٠٩ ، وكانَ ذَلِكَ يومَ أحدٍ ، كما كانَ يَوْماً شَديدَ البُرودَةِ .

وبعدَ عامَيْنِ مِنْ مَوْلِدِهِ ، انْتَقَلَ توماسُ مَعَ أُسرَتِهِ إلى مَزْرَعَةٍ أُخرى ، وذَلِكَ بَعْدَ وفاةِ جون براون فيلد .

كانَتِ المَزْرَعَةُ الجديدةُ تَقَعُ على شاطِئِ نَهْرِ (كنوب Knob) ، وكانَتْ المنْطَقَةُ خِصْبَةً كما كانَتْ تَكْثُرُ فيها حَيواناتُ الصَّيدِ كالغِزْلانِ والوُعولِ والأَرانبِ البَرِّيَّةِ .

وأخيراً ، تَمَكَّنَ توماسُ مِن شِراءِ مَزْرَعَةٍ صَغيرَةٍ تُطِلُّ على النَّهْرِ ، وأَرْسَلَ ابْنَهُ أَبراهامَ إلى مَدْرَسَةٍ أوَّلِيَّةٍ هِيَ مَدْرَسَةُ (كالت هازل) حَيثُ تَعَلَّمَ مَبادِىءَ القِراءَةِ والكِتابَةِ والحسابَ .

ومِنَ الأمورِ التي لَمْ يَنْسَها أَبراهامُ لنكولن عَنْ دِراسَتِهِ الأوَّلِيَّةِ ، أَنَّ التَّلاميذَ كانوا يُحْضِرونَ مَعَهُمْ نَباتَ النَّعْناعِ البَرِّيِّ حَتَّى يَطْرُدَ بِرائِحَتِهِ النَّفاذَةِ البَراغيثَ ومُخْتَلِفِ الحشَراتِ التي كانَتْ تَكْثُرُ في

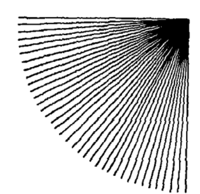
قاعَةِ الدِّراسةِ !.

ويَذْكُرُ المؤرِّخونَ أنَّ أبراهامَ لنكولنْ أظهرَ في صِغَرِهِ مَيْلاً شديداً لِلْمُطالَعةِ في الكِتابِ المُقَدَّسِ، وأنَّ هذا المَيْلَ كانَ يَزْدادُ كُلَّما تَقَدَّمَ بهِ العُمرُ، ولعَلَّ هذا هُوَ السَّبَبُ فيما عُرِفَ عَنْهُ مِنْ اسْتِقامَةٍ، وتَمَسُّكٍ عظيمٍ بالمبادِئِ السّامِيَةِ الشَّريفةِ، وكَراهِيَتِهِ لِلظُّلْمِ والاسْتِبْدادِ.

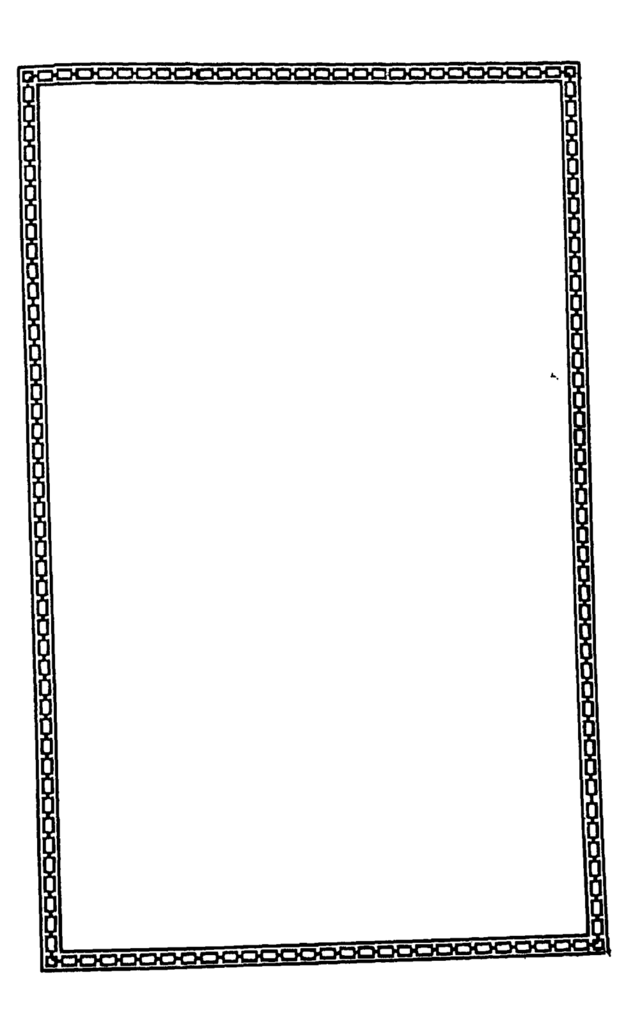
وعُرِفَ أبراهامُ مُنْذُ صِغَرِهِ بِقُوَّةِ ذاكِرَتِهِ، كما ظَهَرَتْ مَوْهِبَتُهُ في الخَطابَةِ فَكانَ يَحْفَظُ عِدَّةَ مَقاطِعَ مِنَ الكِتابِ المُقَدَّسِ ثُمَّ يُلقيها على التَّلاميذِ في لَهْجَةٍ مُؤَثِّرَةٍ كانَتْ تَدْفَعُ مُعْظَمَهُمْ إلى البُكاءِ في كثيرٍ مِنَ الأَحيانِ.

★ ★ ★

الفَصْل الثَاني



وَاحِدَة في المليون



ماتَتْ (نانسي هانكسْ) أمُّ أبراهام لنكولن بعدَ مرضٍ لم يُمْهِلها طويلاً ..

ماتَتْ وتَرَكَتْ أبراهامَ في التَّاسِعَةِ أو العاشِرَةِ مِنْ عُمْرِهِ ، ووَجدَ توماسُ لنكولنُ نَفْسَهُ بحاجةٍ إلى امْرأَةٍ تَرْعَى أوْلادَهُ الصِّغارَ وتَقِفُ إلى جانِبِه في الحياة ..

وكانَتْ مقابَلَةُ توماسَ لنكولن لِلسَّيِّدَةِ (سالي بوشْ) إحدى المُصادَفاتِ الكريمَةَ التي يَجُودُ بها القَدَرُ على الإنسان في بَعْضِ الأحيانِ ، وبَعْضُ المُؤلِّفين يقولون إنَّ اسْمَها كانَ (ساره بوش Sarah Bush) .

كانَتْ سالي قد ماتَ عَنْها زَوْجُها وتَرَكَ لها ابْناً يُدعى جونَ وابْنَتَيْن إحداهُما اسْمُها ما تيلْدا والأُخْرى اسْمُها سارَة ..

ولَمْ يَتْرُكْ لهـا زَوْجها - وكان سَجَّاناً - ثروةً تذكَرُ إلاَّ أَنَّها كانَتْ تمْلِكُ مَكْتَبةً تُعْتَبَرُ ثمينةً في ذلِكَ الوَقْتِ كما كان لَدَيْها بَعْضُ الأَثاثِ الْمَنْزِليِّ ..

كانَتِ السَّيِّدَةُ (سالي بوش) تُحبُّ بِطَبيعتِها القِراءَةَ والاطِّلاعَ ، وكانَتْ تُشَجِّعُ ابْنها وابْنَتَيْها على ذلكَ ، كما كانَتْ تَعْتَزُّ اعْتِزازاً كبيراً بِتِلْكَ المكْتَبَةِ التي وَرِثَتِ الكَثيرَ مِنْ كُتُبِها عَنْ أَبيها الرَّاحِلِ .

وقَدْ وَضعَتِ السَّيِّدَةُ (سالي بوشْ) هَذِهِ المكتبةَ فيما بَعْدُ تَحْتَ تَصَرُّفِ أبراهـام لنكولن حينما شَعَرَتْ بمَيْلِهِ إلى القِرَاءَةِ والاطِّلاعِ وَصـارَتْ تُشَجِّعُه على ذَلِكَ ..

ويَقُولُ المؤلِّفُ (ورْدْ لَامُونْ Ward Lamon): إنَّ السَّيِّدَةَ (سالي) كانَتْ في كثيرٍ من الأَحيانِ تَقْرأُ مَعَ أبراهامَ لنكولنَ قَصَصَ شِكْسبيرَ الشَّاعِرِ الإنكليزيِّ وأَمْثالَ وحِكَمَ أَيُّوبَ وتَشْرحُ له المعاني

والكَلِماتِ الصَّعْبةَ الَّتي كانَ لا يَفْهَمُها ، وشَجَّعَتْهُ على أنْ يُدوِّنَ كلَّ ما كانَ يَدُور في خَلَدِهِ من خَواطِرَ وآراء ، فكانَ يكتُب ذَلِكَ بأسلوبٍ شَيِّقٍ ويَستَخْدِمُ في أسلوبِهِ الكِتابِّي ما كانَ يَقْرَأُهُ مِنْ تَعبيراتٍ أَوْ تَشْبيهاتٍ في الكتبِ الأُخْرى ..

ويَرْوِي الْمؤَلِّفُ (جونْ هايْ) قِصَّةً روَتْها (ماتيلدا) ابْنَةُ السَّيِّدَةِ (سالي بوشْ) مِنْ زوْجِها الأوَّلِ ، وتُظْهِرُ هَذِهِ القِصَّةُ فَضْلَ (سالي بوشْ) على أبراهام لنكولن وكيفَ أنّها عَمَّقَتْ إيمانَه باللهِ تعَالى ، وغَرَسَتْ فيه حُبَّ العَدالةِ والمُساواةِ بَيْنَ جَميعِ النَّاسِ لا فَرْقَ في ذلِكَ بَيْنَ أَمريكيٍّ أو هِنْدِيٍّ أو زِنْجِيٍّ ..

ولَوْلاَ هَذهِ السَّيِّدَةُ الكَريمةُ لَظلَّ أبراهام لنكولن يَكْرَهُ الملَّونينَ حتى آخِرِ حياتِهِ .. وذَلِكَ لأنَّ جدَّ أبراهامَ قَتَلَهُ الهنُودُ الحُمْرُ كما قدَّمْنا ..

قالَتْ ماتِيلدا إنَّ أخاها « جون » أحضرَ في أحدِ الأيّامِ سُلحفاةً وأرادَ نزعَ قِشرَةِ ظهرِها الصُّلبَةِ لِيرى ما تحتَها، فنهرَهُ عن ذلِكَ أبراهـــامُ ، فما كانَ مِنْ «جون» إلا أنْ أمسَكَ بالسُّلحْفاة واتَّجه بها إلى شَجرَةٍ قَريبَةٍ ، وصارَ يَضرِبُ بها الشَّجرَةَ حتى حطَّمَ قِشرَةَ ظهرِها ، وماتَتِ السُّلحْفاةُ !.

وإذْ ذاكَ ثارَ أبراهامُ لِنكولن ثوْرةً شـــديدَةً وضَرَبَ جونَ ، الذي حاولَ أنْ يُصارِعَ أبراهامَ ، ولَكِنَّ أبراهامَ كانَ أقوى مِنْهُ فَغلَبَهُ .

وكانَتْ سالي بوش - أم جون - بالخارِجِ - فلمَّا عادَتْ أخبرَها ابْنُها بأنَّ أبراهامَ ضربَهُ .

ولَوْ كانَتِ امرأةً غيْرَها لاستَشاطَتْ غضَـــباً ولأوْسَعَتِ ابنَ زَوْجِها ضرْباً .

ولَكنَّها بَعْدَ أنْ عَلِمَتْ بمـــا حدَثَ ، الْتَفَتَتْ إلى ابْنِها جونَ وقالَتْ لَهُ :

— لَوْ لَمْ يَضرِبْكَ أبراهامُ لَضَرَبْتُكَ أنا ، إنَّ ما فَعَلْتَهُ بالسُّلَحفاةِ هُوَ الإجْرَامُ بعَيْنِهِ ، لَقَـــدْ أَثْبَتَ أبراهامُ أَنَّهُ مَلاكُ رَحْمَةٍ ، أمَّا أنتَ لَقَدْ عَمِلْتَ عَمَلَ الشَّياطِينِ .

واتَّجَهَتْ سالي بوش نَحْوَ أبراهامَ وقالَتْ لَهُ في عَطْفٍ شَديدٍ :

— تعالَ .. تعالَ يا حَبِيبي .. إنَّكَ تَسْتَحِقُّ قُبْلَةَ شُكْرٍ مِنّي على رَأْفَتِكَ .

كانَتْ سالي بوش واحِدَةً في المليونِ كما يَقولُ المؤلِّفُ جونُ هاي .

كانَتْ حقاً سَيِّدَةً عظيمَةً .

★ ★ ★

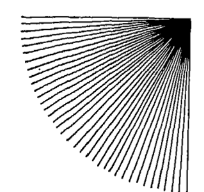
ومِمّا يُرْوَى أيضاً عَنْ هذهِ السَّيِّدَةِ العَظِيمَةِ أنَّها أنقَذَتْ مُستَقْبَلَ أبراهامَ لنكولن ، وذَلِكَ حِينَما صَمَّمَ أبوهُ توماسُ على أنْ يَجْعَلَ مِنْهُ نَجّاراً مِثْلَهُ ، فَشَجَّعَتْهُ

هيَ على مُواصَلَةِ الدِّراسَةِ ، وكانَتْ تَقْرأُ مَعَهُ كُتُبَهُ ، وتَحُثُّهُ على عَمَلِ الخَيْرِ وعلى مُواصَلَةِ القِراءَةِ في الكتابِ المُقَدَّسِ .

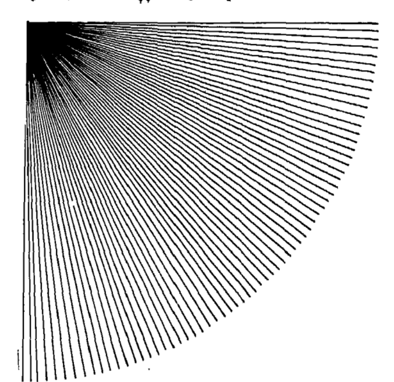
ولَوْلا سالي بوش ، ووَقْفَتُها الحازِمَةُ تجاهَ زَوْجِها ، لأَصْبَحَ أبراهامُ لِنكولَنْ نَجَّاراً ، ولَحُرِمَتْ مِنْهُ الوِلاياتُ المُتَّحِدَةُ الأَمريكيَّةُ .

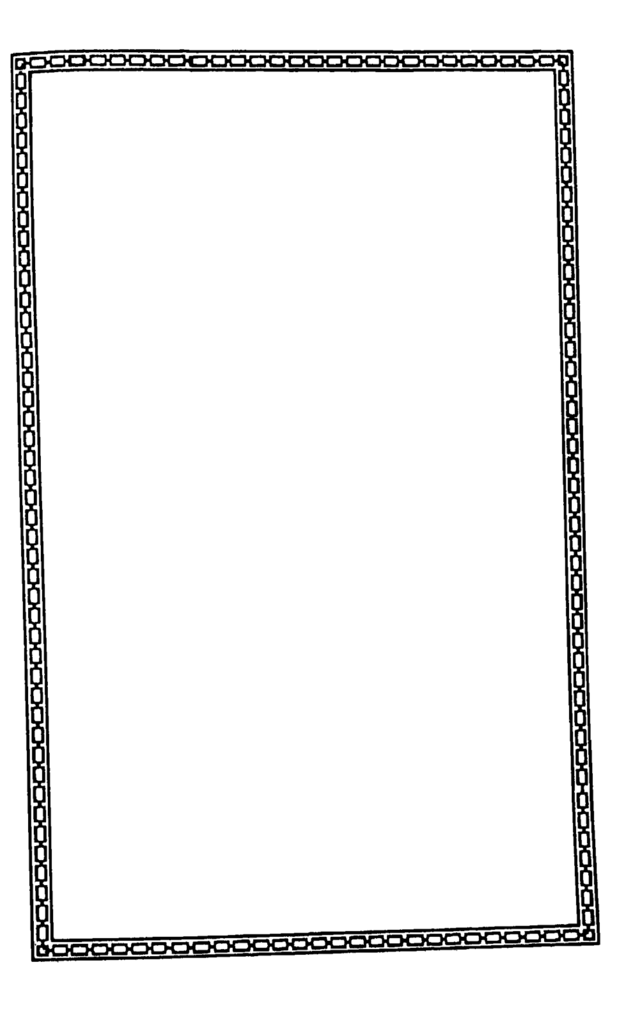


الفَصل الثالث



بداية حياته العمليّة





رَفضَ أبراهامُ لنكولنُ أنْ يَتعلَّمَ حِرْفَةَ النِّجارةِ ، ولَكِنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أنَّ واجِبَهُ مُساعَدَةُ أبيهِ ، فَكانَ يُعَاوِنُهُ في الزِّراعَةِ وحَرْثِ الأَرْضِ وجَنْيِ المحصُولِ .

ولما بَلَغَ التاسِعَةَ عَشْرَةَ من عُمرِهِ اسْتأْجَرَهُ تاجِرٌ ثَرِيٌّ لِيُرافِقَ ابْنهُ في رِحْلَةٍ عَبْرَ نَهْرِ المسيسيبي إلى مَدينَةِ (نيو أورليانز) لِيَبيعا حمولَةَ سَفينةٍ نَهْرِيةٍ كانَتْ مَشْحونةً بمختلِفِ أنواعِ الحبوبِ كالأَرزِّ والذُّرَةِ والقَمْحِ .

وكانَ أجرُ أبراهامَ لنكولنَ ثمانيةَ دولاراتٍ فَقطْ في الشَّهرِ .. ولَقَدْ فَرِحَ بِهذا الأَجْرِ فَرْحَةً كَبيرةً !.

وكانَتْ مَدينةُ (نيو أورليانزْ) أولَ مَدينةٍ كَبيرةٍ يَراها أبراهامُ في حياتِهِ ، فأَدْهَشَتْهُ طُرُقُها

المتَّسِعَةُ وأذْهَلَهُ ازْدِحامُ الناسِ في شُوارِعِها ، ولكنَّ سُرورَهُ الأَكْبَرَ كانَ حينما ذَهبَ إلى مَكْتَبتِها العــامَّةِ ووَجَدَ فيها آلافاً مِنَ الكُتُبِ ، فصارَ يَتردَّدُ عليها في أوْقاتِ فراغِه ، وساعَدتهُ قُوَّةُ ذاكِرته عَلى أنْ يَزِيد من ثَروتِهِ في المَعْلوماتِ العامَّةِ ..

وفي مكتبةِ (نيو أورليانز) العــامَّةِ اكْتَشَفَ أبراهامُ في نَفْسِه ميلاً شَديداً إلى قراءة كلِّ الكُتُبِ التي لَها علاقَةٌ بالقانونِ والمرافعاتِ ، وتمنَّى في قَرارَةِ نفسِهِ لو أنَّهُ دَرَسَ القانونَ وأصبحَ مُحامِياً ..

★ ★ ★

ونَزَحَ أبوهُ مَعَ أسرتِهِ من (إنديانا) إلى مِنطقةِ (دِكاتور : Decatur) ولكنَّهم لم يَلبثُوا فيهــا إلاَّ شتاءاً واحداً ثُمَّ نَزَحــوا مرةً أخرى إلى (مِنطقةِ كولز Coles County).

وحينما بلغَ أبراهامُ الحادِيَةَ والعشرينَ من عُمرِهِ

أرادَ أنْ يستقلَّ في حياتِهِ فسَافَرَ إلى مدينةٍ كان اسمُها : (نيو سالم New Salem) ، وهذهِ المدينة لا أثر لَهـــا الآنَ ، وكانَتْ قدأُنشِئَتْ على شَاطِىءِ نهر (سانْجامونَ Sangamon) على مقرُبَةٍ من سوقٍ كان يلتقي فيها الناسُ من البلدانِ القريبة .

وفي هذه المدينةِ عُيِّن أبراهامُ سكرتيراً للجنة الانتخابِ وتعرَّفَ إلى كثيرٍ من أهلِها فأَحبُّوه واحترمُوه ، وكان يَجذِبُهم نحوه بأحاديثه الطليّةِ السَّاحِرة وبحُسْنِ عَرْضِه مَا لَدَيْهِ من المعلوماتِ التي حصَّلها مِن قراءاتِهِ..

وتطوَّع أبراهام لنكولن في ميلشيا ولاية إلينوي: (Illinois Militia) وظلَّ بها مدةَ ثمانين يوماً اشتركَ في أثنائِها في إحـــدى الحروبِ التي كانَتْ تنشبُ بين الأمريكيين والهنودِ الحمْرِ ، وهي حربُ : (الصقر الأسود Black Hawk War) .

وخَطَرَ لابراهام لنكولن أن يُرشِّحَ نفسَهُ في

الانتخاباتِ لمجلسِ الولايةِ التشريعي ، ولـــكنه لم ينجحْ في هذه الانتخاباتِ إلاَّ أنَّ الناسَ جميعاً عرفُوا مقدرَته الخطـــابيَّةَ ، كما أُعجِبوا بِشخصيتِهِ القويَّةِ الجذَّابة ، والسبَّبُ في عدمِ نجاحِه هو أنه رشحَّ نفسه عن ِحزْبِ الأحرار وكان حزبُ الأقلية في ذلك الوقْتِ ..

وبعد فَشَلِهِ في الانتخاباتِ عُيِّن مُديراً لمكتب بَريدِ مدينةِ (نيوسالم) .

وقـــد أدَارَ مكتبَ البريدِ بمهارةٍ فائقةٍ وأمانةٍ مُنقَطِعَةِ النَّظير ..

وأتاحَ له عملُه هَذا فُرصَةَ التعرُّفِ على عددٍ كبيرٍ من الشخصياتِ المرموقةِ كانَ من بينهم(منتورجراهام Mentor graham) الذي تلقى أبراهـــام على يَدَيْهِ دُرُوساً في قواعِدِ وآدابِ اللُّغةِ الإنكليزيةِ ..

وكانَ مِنهُم أيضاً(جونستيوارت John stuart)

الذي مكن أبراهامَ من دراسةِ القانونِ فبرعَ فيه وأصبح عُضواً في نقابةِ المحامين وذلك في شهر أيلول ـ سبتمبر ـ سنة ١٨٣٦ ميلاديَّة ، أيْ وهُوَ في الثامنةِ والعِشرين من عمره .

ولم يَيْأسْ أبراهامُ مِنَ الفوزِ في انتخاباتِ المجلسِ التشريعيِّ فنَجَحَ في ذلك ولَبِثَ عُضواً في هذا المجلس حتى سنة ١٨٤١ ميلادية.

★ ★ ★

يُستفادُ من دراسةِ تاريخِ حياةِ أبراهام لنكولن أن العبقريةَ وإن كانَتْ موهبةً لا تُورث إلا أنها تحتاجُ إلى الكثيرِ من المميزاتِ والخصالِ الشخصيةِ حتى تُؤْتِيَ ثِمارَها .

من هذه الخصالِ قوةُ الإرادَة .

كان أبراهامُ يتمنَّى أن يُصبحَ محامياً فأدْركَ أنَّ التَّمني وحدَه لا يُجدي شيئاً إلا إذا اقترنَ بقوةِ

الإرادةِ وصِدْقِ العَزْم ، فانتهزَ كلَّ فرصـــةٍ سانحةٍ لكيْ يُثقِّفَ نفسَه ويزيدَ من اطلاعِه على كتبِ القانون.

وأدْرَكَ أن المرافعةَ في القضايا وكتابةَ المذكّراتِ والعقودِ تحتاج َعلاوةً على الثقافةِ القانونيةِ ، إلى درايةٍ تامّة باللُّغةِ وقواعدِها وآدابِها ، فقرأ مؤلفاتِ شكسبير وحِكَمَ أيُوب وعدَداً كبيراً من الكتبِ الأَدبيَّةِ حتى اكتسبَ أسْلوبُه طلاوةً وسلاسةً وبلاغةً لفَتَتْ إليه الأَنظار .

ومن الخصالِ اللازمةِ لإظْهارِ العبقريةِ عَـــدَمُ المبالاةِ بالصِّعابِ أو بالمشكلاتِ التي تُصادِف العبقريَّ الطموح .

والإنسانُ القويُّ الشخصيَّةِ المعتدُّ بنفسِه والمؤمنُ بأهدافِه إذا صادفَتْهُ صعابٌ أو مشكلاتٌ ازداد صلابةً عن ذي قَبلْ ولَم يَستَسْلِمْ لليأس ، ولا يَنْدُبُ سوءَ حظِّه بل يُصرُّ على مواصلَة السَّيْرِ في طريقه قُدُماً حتى

يُحقِّقَ ما يَصبُو إليه .

إنَّ حياةَ أبراهام لنكولن لم تَكُن سهلةً ميسورةً، ولو قال أحـــدٌ من (كنتكي) أو (إنديانا) إنَّ ابنَ النَّجار توماس لِنـــكولن سيكونُ رئيساً لأمريكا الشمالية وأعظَمَ شخصيةٍ في تاريخها ، لو قالَ أحدٌ ذلك لَسَخِرَ الناسُ منه وقَهْقَهُوا ضاحِكين ولاتَّهموه حتماً بالجنون ..

ولكنَّ أبراهام لنكولن شَقَّ طريقَه بقُوَّةِ إرادتِه وباعتدادِه العظيم بقُدرَتِه ، وبدراستِهِ واطِّلاعِهِ المستمرِّ على كُتُبِ الأدبِ والقانونِ والدِّينِ ، فما من خطبةٍ له خَلَتْ من الإشارةِ إلى ما يأْمر به الله تعالَى من عملِ الخير وتجنُّبِ الظلمِ والمُساواةِ العادلةِ بين الناس ، وعـــدم استغلالِ السُّلطةِ أو المالِ لإذلالِ الآخرين ..

★ ★ ★

وقد أحسَنَ المؤلفُ (جون هاي) حينما حـــلَّل

شخصيةَ أبراهام لنكولن فقال :

« كانَتْ لدَيْه قدرةٌ لا تصدَّقُ على العَملِ الشاقِّ وذاكرةٌ قويةٌ ومقدرةٌ على أن يُصيب بِوُضوحٍ لُبَّ الموضوع واكتَسَبَ مهارةً في اختيارِ كلماتِه فكانَتْ عباراتُه واضحةً بسيطةً ومختصَرة .

وهذا هو نصُّ ما ذكره المؤلف جون هاي :

(He had incredible capacity for hard work a retentive memory , and the ability to strike clear to the heart of a matter. He , developed a skill with words achieving elarity simplicity and brevity in expression) .

ويُعتبرُ كتابُ المؤلفِ (جون هاي John Hay) من أحسن الكتبِ التي يمكنُ الاعتمادُ عليها عند الكتابةِ عن حياةِ أبراهام لنكولن وذلك لأن (جون هاي) كان يَعملُ في شبابهِ كسكرتير للنكولن وكان يُعاونُه في السّكرتارية شابٌّ آخرُ كانَ اسمُه (جون نيكولاي John Nicolay) ، وقد اشتركَ مع جون هاي

في كتابه الذي نَشَرَه سنة ١٨٩٠ ميلادية بعنوان :
(تاريخ حياة لنكولن A Biography of Lincoln)

★ ★ ★

ومن الوقائِع التي تُروى عن أمانَةِ أبراهام لنكولن وزُهدِهِ في المالِ وإعراضِه عن مظاهِر الدنيا الزائِفة الزائِلة ، أنَّ أعضاء حزب الأحرار حينما انتهتْ مُـــدَّةُ انتخابِهِ في المجلس التشريعيِّ للولاية أرادوا أن يُرشِّحوه مرةً أخرى ، وكان لنكولن فقيراً ومَديناً فجمعُوا له مائتي دولار ليُنفقَها على دِعايته الانتخابية .

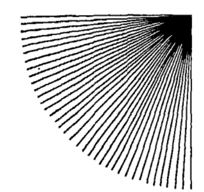
وكانَ لنكولن يَكرهُ الدعايَةَ الجوفاء ويعتبرُها خِداعاً للشَّعب ، فاقْتصر على أنْ يستأجِرَ جواداً ورَكِبَهُ وطافَ بِهِ على الناس وهُوَ يُلقي خُطبةً هُنا وخطبةً هُناك .

ونجحَ في الانتخابات وأَعادَ إلى أعضـــاءِ حزبِ الأحرار مبلغ المائتي دولار بعد أن خصم منها خمسةً وسبعين سنتاً قالَ لَهم إنه دَفعَها نَظيرَ اسْتئجاره الجواد مِنْ صاحبه !

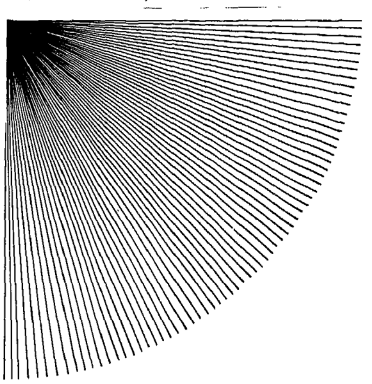
★ ★ ★

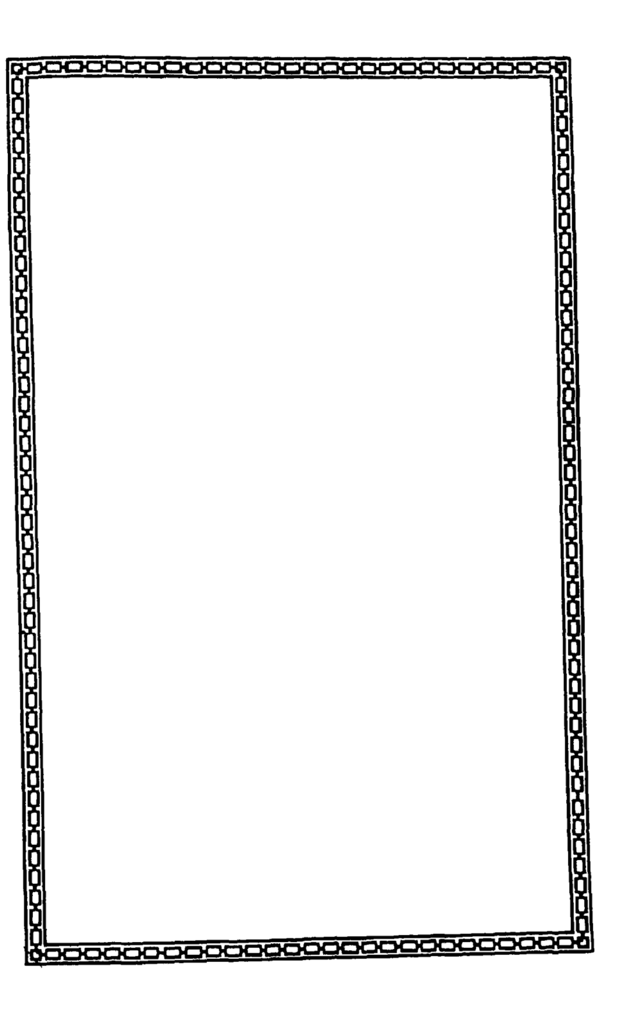


الفصل الرابع



لنكولن المحامي





قالَ أبراهامُ لنكولنُ عن المحاماةِ :

« المحاماةُ مهنةٌ مِن أشرفِ المِهنِ إذا آمَنَ المُشتغِلُ بها بأنْ يجعلَ من نفسِه نصيراً للحقِّ على الباطِلِ، فالقَوانينُ شُرِّعَتْ لكي ترْسُمَ الحدُود بينَ الحقِّ والباطِلِ وتجعلَ الغلبةَ للحقِّ لا لِلقُوَّةِ سواءٌ أكانتْ هذه القوةُ مُتَمثِّلةً في النفوذِ السياسيِّ أم الاجتماعيِّ في الثروة والجاه » .

والمحامي الشريفُ لا يجعلُ جمعَ المالِ نُصْبَ عَيْنَيهِ ، إذ إنَّ أعظَمَ أجرٍ يتقاضاهُ المحامِي الحـرُّ هو انتصارُه في قضيةٍ ترَافَعَ فيها عن متهمٍ بريءٍ أو فقيرٍ مظلومٍ ، أو يتيمٍ أو أرملةٍ أرْجعَ إليهم جميعاً حُقوقَهم المهضومةَ ، أما جمعُ المالِ فهو هدفُ التّاجِر ، وهُنَاكَ فروقٌ شاسِعةٌ بين التجارةِ والمحاماة .. »

تلك كانَتْ نظرةُ أبراهــامَ لنكولنَ إلى مهنةِ

المحاماةِ ، وهي نظرةٌ ساميةٌ جليلةٌ لا مِراءَ في هذا ..

إنَّ شعبيتَه العظيمةَ وما نالَهُ من شهرةٍ واسعةٍ كانَتْ جديرةً بأن تُتيحَ له الفرصةَ لكيْ يكوِّنَ ثروةً واسعةً من وراءِ اشتغالِه بالمحاماة ..

ولكنَّه رغم ذلك لَبِثَ غارقاً في الديونِ ، وكانَ سُوء حالتِه المالية سَبَباً في المأساةِ العاطفيةِ الأليمة التي اختُتِمَتْ بها أَولُ قصةِ حُبٍّ في حياتِه كما سيأتِي بَيانُهُ ..

يقولُ المؤلف (روي باسلر Roy Basler) في كتابه المسمى (أعمال أبراهام لنكولن The works of Abraham Lincoln) : إنَّ شعبيةَ أبراهام ، وحبَّ الناسِ له جعلتْه يترافَعُ في آلافِ القضايا ، ولكنَّ أتعابَه عن هذه القضايا كانَتْ ضئيلةً للغاية ، وكان يرفُضُ دائِماً أن يتقَاضى أتعاباً مِنَ الفُقَراء أو المحتاجين ، بل كانَ في كثيرٍ من الأحيان

يَدْفَعُ من جيبه الخاصِّ الرسومَ القضائية التي لا بُدَّ من دَفْعِها في قضـــايا المطالباتِ المدنيَّة ، وذلك إذا كانَ صاحبُ الحقِّ عاجزاً عن دفْعِ تلك الرسومِ .

ويُضيفُ المؤلِّفُ (روي باسلر) أن أكبَرَ أتعابٍ تقاضاها أبراهـــام في حياته كمحامٍ كانَتْ في قضيةٍ رَبحها لشركةِ (أَلينوي) المركزيةِ للخطوطِ الحديديّةَ « Illinois central Railroad » وكانَتْ في مجموعِها خمسةَ آلافٍ من الدولاراتِ دَفَعَ أغلبَها لسَدادِ بعضِ دُيونه ! .

هذا هو أبراهام لنكولن العبقريُّ العظيم !.

كان يحتقِرُ المالَ ويحتقر كلَّ إنسانٍ يُفضِّل الجاهَ والثروةَ على المبادىء الإنسانية السَّليمة.

وكانَ سِرُّ شغَفِه بالمحاماةِ أَنَّه أراد أن يُكرِّسَ كلَّ ما كانَ يملك من طاقاتٍ ذهنيةٍ وخطابيَّةٍ لكَيْ يأْخُذَ حقَّ المظلومِ من الظالمِ بغضِّ النظر عن أية فائدةٍ

شخصيةٍ قد تؤولُ إليه ..

كان أبراهام لنكولن من ألدّ أعـــداء الظلمِ والاستعبادِ ، ولقد نَالَ شهرةً واسعةً حينما تزعّم الحركةَ التي تدعُو لإلغاءِ الرّقّ وبَيْع العبيد في الأسواقِ وَوْراثتهمْ كما تُتوَارَثُ الحيـــواناتُ والمنقولاتُ والبَضَائع .

ومن أقوالهِ المأثورة في هذا الصّدد : « إنَّ الله الذي خَلَقَ العبدَ هو الذي خَلَق الحرَّ ، وإباحةَ الرقيق أمرٌ يُنافي أبسطَ مبادىءِ الإنسانية ويُعتبر كُفراً باللهِ وبتعاليمِ الكتابِ المقدسِ ، فقد وُلِدَ الناسُ أحراراً فكيفَ تجعلونَهم أرقّاء !.

ويقول المؤلف : (كارلز .ب.ف :Quarles . B. F)

في كِتـابِه الذي أسمـــاه « لنـكولن والزنوج Lincoln and the Negroes» ونشره سنة ١٩٦٢ ميلادية .

« لم يكُنْ أمراً عادياً أن يُجاهِرَ أبراهام لنكولن

برأيه صراحـــةً في الرِّق ، إذ أن الأمريكيين كانوا يَعتبرون امتلاكَ العبيد حقاً من الحقوقِ التي كفَلَها لهَمُ الدُّستور ، كما أنَّ لنكولن منذُ صِغَره كان يرى الرقَّ في « كنتكي» و « إنديانا » شيئاً عادياً لا غُبارَ عليه ، والعبيدُ أنفسُهم قلمـــا احتجُّوا على ذلك ، ولكنَّ إنسانيةَ لنكولن العظيمةَ هي التي كانت وراء دعوتِه الحماسيَّة الحارة لإلغاء الرق ، تلك الدعوةُ التي تُضَافُ إلى مآثِره الخالِدة الأخرى ، وتجعل منه أعظمَ شخصيةٍ أنجبتْها أمريكا الشمالية في تاريخها ، وقد وَصفَ الرقَّ بأنَّه خطلٌ في السياسة وخطأٌ في الدستور وظلمٌ للانسانية ، واستمرارُ الخطإ لا يجعلُه صواباً ».

ولم يُبالِغِ المؤلفُ (كارلز) فيما قالَه ، فقد كانَ لنكولنُ يُجالسُ الزنوجَ ويأكلُ معهم ويَعطفُ عليهم عطفاً عميقاً ..

★ ★ ★

كانَ « جون ستيوارت » أولَ محامٍ كبيرٍ عَمِلَ معه أبراهامُ لِنكولن ، وهو الذي شجَّعه من قبلُ على دراسةِ القانون .

وما زالُوا يحتفظون حتى الآن في « مكتبة الكونجرس الأمريكي « Library of Congress » بصورة من صحيفة « سنجامون » الصادرة في الخامس عشر من شهر نيسان - إبريل - سنة ١٨٣٧ ميلادية وهُو العددُ الذي نُشِرَ فيه خبرُ اشتراكِ لِنكولنْ معَ جون ستيوارت في افتتاحِ مكْتبٍ للمحاماة..

وهذه هِي صيغة الخبر :

« جون ستيوارت وأبراهامَ لِنْكولنْ المحاميان القانونيَّان سَيَشْتَركان معاً في مزاولةِ مهنةِ المحاماةِ والمرافعةِ أمامَ المحاكمِ المُتنقلةِ ، وقدْ افْتتحا مكتباً لذلِكَ بشارعِ « هُوفمان » رقم (٤) بمدينة سبرنجفيلد »

والمحاكم المتنقلة كانَتْ محاكم موسميةً تنتقلُ بين

مختلفِ القُرى للفَصْلِ في قضايا أهلها . .

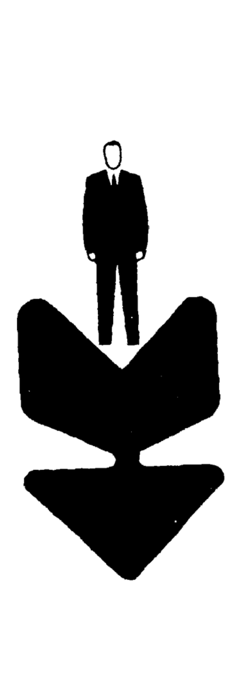
ولكنَّ جون ستيوارت لم يكنْ مُتفرِّغاً للمحاماة لأنّه اتّخذها سبيلاً للوصولِ إلى نصرٍ سياسيٍّ .

وفي سنةِ ١٨٤١ ميلادية انْفَضّت الشركة التي كانت بين لنكولن وستيوارت وشاركَ لنكولن محامياً آخرَ كان على درجةٍ كبيرة من الشُّهرة والدِّرايةِ كمحامٍ ، وكانَ قاضياً من قبل ، وكان اسمُه : (ستيفن .ت. لوغان Stephen . T. Logan).

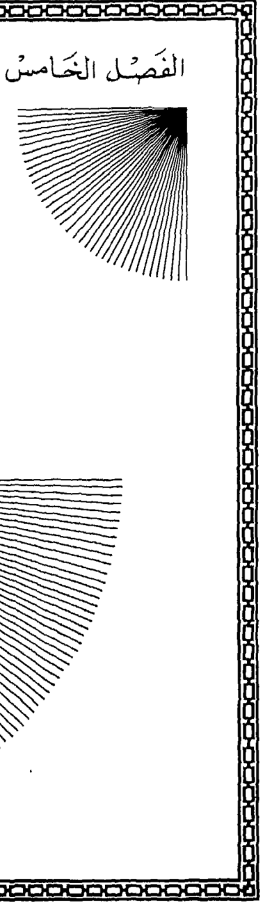
وكان للمحامي لوغان تأثيرٌ عظيم في حياة لنكولن كمحامٍ فقد أفادَ لنكولن من خبرتِه فائدةً عظيمةً وزادتْ إيرادَاتُه من المحاماة فأصبحَ يربحُ في العام ما كانَ متوسطه ألفاً وخمسمائة من الدولارات .

وفي سنة ١٨٤٤ ميلادية تمكّنَ أبراهامَ لنكولن من أن يَستقلّ بمكتب خاصٍ به ، وكان يُعاونُه محامٍ صغير اسمُه : وليام هرندون (William Herndon) .

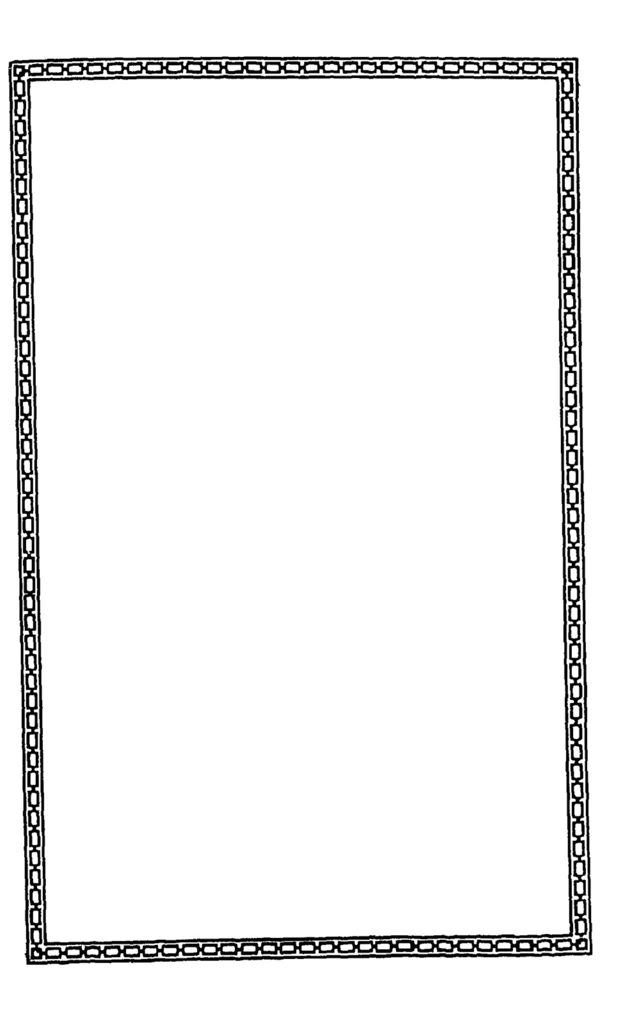
* * *



الفَصْل الخَامِس



قَلْبُ لنكُولْن



اخْتَلَجَ قلبُ أبراهامَ لِنكولن بالحبِّ ثلاثَ مرات في حياتِهِ ..

وكانَتْ أَشدَّ هذه المراتِ عُنفاً وأبلغها قسوةً عليه وعلى قلبه المرَّةُ الأولى ..

الحبُّ الأَوَّلُ له أثرُهُ المعروفُ في حياةِ الرَّجلِ أوِ المرأةِ ، قالَ الشاعر :

نَقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئْتَ من الهوى
ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّلِ
كم مَنْزِلٍ في الأرضِ يألفُهُ الفتى
وحنينُهُ أبداً لأوَّلِ مَـــنْزِلِ

والمقصودُ بالحبِّ الأولِ الحبُّ الحقيقيُّ الصَّادِقُ العميقُ ، أما مُغامَراتُ العَبثِ أو عواطِفُ فترةِ المراهقةِ فهِيَ لا تُعتبر حبًّا ولكنْ مجرَّدَ مغـــامراتٍ عابرةٍ

يُحرِّكُها حُبُّ الاستطلاعِ أو قِصَرُ النظرِ والطيْشُ والانانيةُ التي قـــد تَنْجُمُ عنها نتائِجُ وخيمةٌ تجعلُ المُراهِق أو المُراهقةَ يَشعُرانِ بمرارةٍ وندمٍ أليمَينِ كلمَّا عادَتْ إلى أحدِهما ذِكْرى تِلكَ المغامرةِ الطّائشةِ وتَمنَيَا لو أنَّهما لم يُقدِمَا عَليها ..

والحبُّ الأَولُ في حياةِ أبراهام لنكولن لم يَكُن مجرَّدَ مغامرةِ مراهقةٍ ، لأنَّهُ كان في ذلك الوقت في السابعةِ والعشرينَ من عمره .

والعمرُ ليس مقياساً دائِماً وصحيحاً لتحديدِ فترةِ المراهقـــةِ ، إذ أنَّ الأمرَ يتوقَّفُ على طبيعةِ شخصيةِ الإنسان ..

قد يكونُ هناكَ فتًى أو فتاةٌ في الخامِسَة عَشْرَةَ أوِ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ من العمر وَلَهُ أوْ لَها عقليةُ وطباعُ شخصٍ عاقلٍ مُتَّزنٍ في الخامسةِ والعشرينَ أو الثلاثينَ من عمره ..

وقدْ يُجاوزُ الشخصُ الثلاثينَ ، أو حتى الأربعينَ من عمره وتكونُ لَهُ عقليةُ وطباعُ المُراهقينَ ..

ولكن أبراهامَ لنكولنَ - كما استعرضْنا حياتَهُ - اجتازَ فترةَ المراهَقةِ في جِديَّةٍ واستقامةٍ كأنَّهُ رجلٌ ناضِجٌ ..

لذلك فإنه حينما عَرَفَ الُحبَّ لأَوَّلِ مَرَّةٍ في حياتِهِ وكان في السابعةِ والعشرينَ من عمره ، أحبَّ بِقَلْبِهِ وَعَقْلِهِ وَرُوحِه ولم يَكُنْ عابثاً أو مُغامِراً ..

إنَّ بَطَلَةَ قِصَّةِ الحبِّ هذه كانَتْ فتاةً شقراءَ اسمُها : (آنْ رُتْلِدْجْ Ann Rutledge).

ولقد شاءَ القَدَرُ أن يُخلِّدَ اسمُها في كُتُبِ المؤلفينَ والمُؤرخينَ وفي دوائِرِ المعارفِ بصفتِها (حبيبةُ قلبِ Sweat Heart) العبقريِّ الرّاحِلِ أبراهامَ لنكولنَ ..

وُلِدَتْ آنْ سنةَ ١٨١٦ للميلاد .. وماتَتْ في التاسِعَةَ عَشْرَةَ من عمرِها .

وُلِدَتْ حبيبةُ أبراهامَ وماتَتْ في مدِينةِ (نيو سالم) حيثُ كانَ لنكولنُ يعْمَلُ مديراً للبريد ..

ولَبِثَتْ قصّةُ حبّهما سِرّاً يَكْتَنِفُهُ الغُمُوضُ مدةً طويلةً حتى أزَاحَ السِّتارَ عنها (وليام هرندون) الذي سبقَ أنْ تَحدَّثْنا عنه، وهو محامٍ شابٌّ كانَ يعملُ مع أبراهامَ في أولِ مكتبٍ افْتَتَحَهُ للمحاماةِ .

لقد أصْدرَ (وليام هرندون) كتاباً عن قصةِ الحبِ هذه تَهافَتَ الناسُ على شِرَائِهِ وطُبِعَتْ مِنْه عِدّةُ طبعاتٍ ثُمَّ نَفَذَتْ، وقد تمكنتُ من الحصولِ على نسخةٍ من هذا الكتاب بصعوبةٍ، وهي التي ننقلُ عنها في تلخيصٍ وتركيزٍ هذه القصة الواقعية المؤثرةِ الأليمة ..

لقد أطلَق (وليام هرندون) إسماً مُثيراً على كتابِهِ هذا.. فقد أسْماه: (لَقَدْ دُفِن قلبي مَعَ آنْ My heart was buried with Ann).

وعلى الرَّغمِ من أنَّ ذلك المؤلفَ لم يَنشُرْ كِتابَه هذا إلا بعد مقتل أبراهام لنكولنْ بسنواتٍ طويلةٍ ، إلاَّ أنَّ السيدةَ (ماري تود لنكولن mary Todd Lincoln) زوجةَ أبراهام لنكولن وأمَّ أولادهِ الثلاثةِ أغاظَها نشرُ هذا الكتابِ ، أو بعبارةٍ أخرى أغاظَها العنوانُ الذي اختارهُ وليام هرندون لِكتابهِ ، ونَشرتْ في الصحفِ تكذيباً رسمياً أكَّدَتْ فيه أن زوْجها الرَّاحِلَ لم يَقُلْ إنَّهُ دَفَن قَلبَه مع (آن رُتلدج) عند موتِها ، لأنَّ أبراهام كانَ لا يَعرِفُ الكذبَ أبداً ، وإذا كانَ - كما يَدَّعِي المؤلف - دَفَن قلبَه مع تلك الفتاة ، فكيف أحبَّ (ماري تود) ذلك الحبَّ العميقَ الذي انْتهى بزواجهما ثُمَّ أصبحَ بعدها الرئيسَ السادسَ عشرَ للولاياتِ المتحدةِ الأمريكية وأصبحتْ هيَ السيدةَ الأولى في أمريكا وكانَا يعيشانِ في سعادةٍ غامرة !.

ولكنَّ رسالَةَ السيدة (ماري تود) إلى الصُّحف لم

يكُنْ لهـــا من أثرٍ إلاَّ ازديادَ إقْبالِ الناسِ على شِراء الكتابِ ، وقد عزَّز المؤلفَ صــــدقَ ما رواه بأدِلَّةٍ كَثيرةٍ لا يَتَّسِـعُ المجالُ لذكْرِها ولكنَّها في مجموعِها أَدلةٌ منطقيةٌ سليمةٌ يكادُ لا يَرْقى إليها الشَّك ..

* * *

الواقِعُ أنني أجِـــدُ صعوبَةً كبيرةً في تلخيصِ قِصَّةِ حُبٍّ أبراهام لنكولن لِتِلك الفتاةِ الصغيرةِ الشقْراء (آن رُتلدج)..

إنَّ هذه القصةَ هامةٌ ومثيرةٌ من أوَّلِها إلى آخرِها، ونَشْرُها مع التعليقِ عليها يستغرقُ مجلَّداً ضخماً.

ولكنني سأُحاوِلُ تركيزَ أهَمَّ مراحِلِ هذه المأساة.. حتى يستوعبَ هذا الفصلُ حادثَيَ الحبِّ الأُخْرَيَيْنِ اللتين اختلج لهما قلبُ أبراهام بعد أن اختطفَ الموتُ حبيبتَه آن ..

حينما عَمِلَ أبراهام مُديراً لمــــكتبِ بريد مدينة

(نيو سالم) أتاحَ لهُ عملُه هذا التعرُّفَ إلى العديد من شخصياتِ المدينة كما قدمنا ، فأحبَّهُ الكثيرون وأعجبُوا به .

وكان من بين محبِّيه شابٌّ ثريٌّ وسيمُ الطلْعَة اسمه : (جون ما كنمار John macnamar).

كانَ جون ما كنمار هذا ابنَ مزارعٍ واسعِ الثَّراءِ له أراضٍ كثيرةٌ في فرجينيا وإنديانا وسائرِ الولايات الأخرى ، وكان ما كنمار الأبُ مشهورا بجودَة ما تُنتجه أراضيه من العِنب ، وكانَ من بينِ عُملائِهِ (رتلدج) والدُ الآنسةِ آن ، لأنَّه كان يَصنع الخمور ويتَّجر بها في مدينة نيو سالم .

وذهب جون بشُحْنَةٍ من الكروم ليبيعَها لرتلدجَ فقابله في ضيعتِه الصغيرة التي كانتْ تقعُ على بُعْدِ عِدَّةِ أميالٍ من مدينةِ نيو سالم .

وهناكَ تقابَل ما كنمار مع آن رتلدج . .

كانَتْ وقتَها في الثامنةَ عشرةَ من عُمرها ..
وأعجَبه جمالُها ..
وحَسِبَ جون كما يَحْسَبُ كلُّ شابٍ ثريٍّ مغرورٍ أنَّ في مقدورِه شراءَ آن بمالِه وبوسامته وشَبابِه ..
وتقرَّب إليها وغَازلَها ، وأَحْسَنَتْ آن به الظَّنَّ باديءَ ذي بدْءٍ لأنَّها كانَتْ عديمةَ الخبرةِ بالرجال ..
ولكنَّها لم تَستَجبْ لِغَزلِه ، واسْتَعْصَتْ عليه ..
ولم يَجدْ جون وسيلةً للتقرُّبِ إليها سوى أَن يَتقدَّمَ إلى أبيها ليطلُبَ يدها منه ..
ورحَّبَ الأبُ بطبيعة الحال بهذه الخطبة ، لأنه كان تاجراً لا يهمُّه سِوى المال ، وكان يعلمُ أنَّ جون هو الأبنُ الوحيدُ لأبيه العجوز وأنه سوفَ يرثُ عنه ثروَته الطائلة ..
ولم تُعارِضُ آن في خِطبة جون إيَّاها ، ولكنها ظلَّت متحفظةً معه تُبدي له النُّفورَ في الكثير من

المَناسَبات ..

والواقعُ أنه كانَتْ هناكَ فروقٌ هـائِلةٌ بين شخصية كلٍ من الخطيبين ..

كانَ جون تافِهـاً أجوفَ الشخصية مُتهافِتاً على ملذّاتِ الحياة ومظاهِرِها كما كانَ قليلَ الحظِّ من العلمِ والثّقافة لأنه لم يَصْبِرْ على مُواصلةِ الدَّرْس .

أما آن رتلدج ، فعلى الرغم من أنَّ أباها كان يتّجرُ بالخمورِ إلاَّ أنها كانَتْ تَكْرَهُ الخمرَ كراهيةً شديدةً ، وكانت بطبيعتِهـا مُتديِّنةً تتردَّدُ دائماً على الكنيسة هِيَ وأُمُّها ، كما كانَتْ مُولَعةً بالقراءةِ والاطّلاع ، ويُؤْثَر عنها أنها كانَتْ لا تَهْتَمُّ بملابِسها فكانَتْ تكتفي بارتداءِ الثّوبِ البسيطِ الأنيقِ رغم قُدرَةِ أبيها على شِراءِ أفْخرِ الثيابِ لها ..

ويقولُ بعضُ من كتبوا عنها إنَّها كانَتْ تكتُبُ بعضَ الأشْعارِ والقصص ، وأنَّ أشْعارَها وقصصَها كانَتْ

تَدُور كلُّها حولَ الحبِّ الرُّوحاني ، وخُلودِ الرُّوح ..
والنَّعيم الذي ينتظرُ أرواحَ الطيِّبين والصَّالحينَ
بعدَ الموت .

لذلك ، لم تكُنْ هناكَ نقطةُ الْتِقاءٍ واحدةٍ بين
أفكارِ جونْ ماكنمار وتَطَلُّعاتِهِ إلى الحياةِ ، وأفكارِ
آن رتلدج وَوُجهةِ نظرِهـا إلى الحياةِ التي تَتمنَّى
أن تعيشَها ..

وكان جون ماكنمار كما قدَّمنَا من المُعجبينِ بعقْليَّةِ
أبراهام لنكولن ، وكانَ يتردَّد عليه ويزُورُه كلمَّا
حضرَ إلى نيو سَالم .

لم يكُنْ جون - كما يقولُ بعضُ المؤلفين - صديقاً
لأبراهام إذ أنَّ الصداقةَ تتطلَّبُ توافُقـاً واتِّسَاقاً في
الطِّباعِ والأخلاقِ ولم يَكُنْ بينَ الاثنين بطبيعةِ الحالِ
هذا التَّوافق أو ذلِكَ الاتِّساق .

كلُّ ما في الأمرِ أنَّ جون ماكنمار كان يُكلِّف

أبراهام في بعضِ الأحيان بعملِ بعضِ العقودِ الخاصّةِ بصفقاتِه التجارية، وكانَ يستَشيرُه في بعضِ المشكلاتِ القانونية ..

وكانَ أبراهامُ بما عُهِدَ فيه مِنْ دَماثةِ الخلُقِ يُقابلُ جون كما كان يُقابلُ غيرَهُ بالتَّرحيب ..

واختلف جون ماكنمار معَ رتلدج حولَ شُحْنَةٍ من العنَب كان بعضُها فاسِداً فاقترح جون أن يَستَدْعِيا أبراهام لنكولن كَحَكَمٍ بينهما ليفُضَّ النِّزاع ..

وذَهب أبراهام إلى ضيعةِ رتلدج وهُناكَ تقابَل لأولِ مرةٍ مع آن ابنة رتلدج ..

ودارَ النقاشُ حولَ النِّزاعِ .. وطالَ بينهما.

وكانَتْ آن تستَمِعُ إلى ما يدورُ من حديثٍ دونَ أن تنطِقَ بكلِمةٍ واحدة ..

كانَتْ حتى هذه اللحظة لم تُبْدِ شيئاً من الاهتمامِ بأبراهام لنكولن أو حتى بجون ماكنمار .

وأخيراً قال أبراهام لهما :

ــ أهمُّ شَيْءٍ في التِّجارةِ بل في كافةِ المُعاملات هو حُسْنُ النِّية ، وحُسْنُ النِّيَّةِ لا يتوافَرُ إلا إذا كانَ ضميرُ الإنسانِ حيّاً ، وكانَ مؤمناً بأنَّ اللهَ يعلمُ أفكارَه التي يُخْفِيها عن النَّاس ..

وإذ ذاك قال جون ما كنمارا ساخِراً .

ــ وما عَلاقةُ الله بالاتّجارِ في الخمور ؟ .

وقال لنكولن في صوتٍ حازم :

ــ إذا كنتَ ترتكبُ خطيئةً لبيْعِكَ العِنَبَ وأنتَ تعلم أنه سَيُصنع خمراً .. فأنت ترتكب خطيئَتينِ إذا بِعْتَه وأنت تعلم أنَّ بعضَه فاسِدٌ ، وبذلك يُضَاعَفُ لك العذابُ في الآخرة..

لم يقُل جون شيئاً بل ضَحِك ساخِراً ..

أمّا آن فقد نظرتْ في إعجابِ شديدٍ إلى أبراهام لنكولن ثُمَّ قالت له :

ـ إنَّك رجلٌ عظيمٌ يا سيدي .. إنَّ الناس في هذه الأيامِ أصبحوا لا يتحدثون عن الله إلا نادراً.. وإن جُون هذا لم أسْمع منه كلمةَ الله ولو مرَّةً واحدة..

والْتفت انكولن إلى وتلدج وقال له :

ـ إني أُهنئك ، فتلك ابنةٌ جمعَتْ بين جَمَالِ الوجْهِ وجمالِ الروح ..

وقال أبُوها في امتِعاض .

ـ إنَّ جَمَال الرُّوح الذي تتَحدَّثُ عنه ، هـو الذي سيجعلُ منها فتاةً بائِسة . .

وسأله أبراهام :

ـ ولكِنْ لماذا ؟ .

وقال جون خطيبُها :

ـ إنَّها خيالية ، إنَّها لا تعيشُ على هَذِهِ الأرض ، بل تُحلّق مع الطُّيور في السماء ، ولـكِنِّي سأعرِفُ كيف أجعلُها واقعيةً مِثْلي ..

وقالت له آن في غضب :

ــ لن أكونَ مثلَكَ أبداً ولو انطبقتِ السماءُ على الأرض.

وصاحَ فيها أبوها :

ــ كيف تُحدثين خطيبَكِ بهذه اللهجة ؟.

قالت وهي تنهضُ واقفةً وتهمُّ بالانصراف ..

ــ إنه ليسَ خَطيبي ، ما دامَ يكفُرُ باللهِ فَعلاقَتي به لَن تكونَ شرعيةً بأية حالٍ من الأحوال ..

وتركتْهم آن وانصرفَتْ ..

★ ★ ★

كان مِن الطبيعيِّ أن تسترعيَ آنُ اهتمامَ أبراهام لنكولن فقد كانَ على شاكِلتِها عميقَ الإيمانِ باللهِ يَحتقرُ الرِّياء والنفاقَ ويزهدُ في مظاهِرِ الدنيا ..

وقد أحسَّ أبراهام بأنَّ قلبه يهفُو إليها ، وأجَّج عاطفتَه نحوها اعتقادُه بأنَّ أبَاها لو أجبرَها على الزَّواج من ذلك الشابِّ الثريِّ المغرورِ لقضَى على معنويَّاتها وجعل

مِن حياتها سِلْسِلةً من العذابِ لا تنتهي إلاّ بموتِها ..

وكان واضحاً كلّ الوضوح لأبراهــــام أنّ الفتاةَ رغم روحانيتها ورقّتِها قويةُ الشخصيَّةِ ، فقد قالت لأبيها إنَّ جون ليسَ بخطيبها وأنَّ أيةَ علاقةٍ تربطُها به ستكونُ غيرَ شرعية لأنَّه كافرٌ بالله !.

كما كانَ واضحــاً لأبراهام أنّ الفتاة أعجبت به وبِشخصيتِه وأفكارِه إعجاباً عظيماً ..

أما جون ماكنار فإنَّه لم يَنْتَبِه إلى شيْء من ذلِكَ لأن الغرورَ كان يَطْمِسُ فِطْنَتَه ،فقد كانَ أصْغَرَ سِناً من أبراهام ، وكانَ بطبيعةِ الحــــال أوفرَ منه وسامةً ، فله شعرٌ ذهبيٌّ وعينان زَرْقاوان وبَشْرةٌ بيضاءُ يكاد يتفجَّر الدمُ منها ، كما كانَ يَلْبِس مـــــلابِسَ غايةً في الأناقةِ عَلاوةً على ثَرائِه الواسع .

أينَ أبراهام لنكولن مِنْه !

كان أبراهام طويلَ القامَةِ جداً ، هَضيمَ الوجهِ ..

تتخَلَّلُ وجهَهُ تجاعِيدُ طُولية ، كما كانَ أشعثَ الشَّعرِ لا يهتمُّ إطلاقــاً بملابسِهِ أو بمظهرِه ، وكانَ يُعتبر فقيراً إذا قُورنَ بما هو عليه جون ما كنمار من ثروةٍ واسعةٍ !.

* * *

بعد هذا اللقاء لم تَسْمح آن لجون حتّى بمقابلتها.

وتوطّدت العلاقــةُ بينها وبين أبراهام ، فكان يُقْرِضُها بعض كتُبِه وتقرِضه هِيَ ما كان لديها مِن كتب ..

وكانا يقضيان وقتاً طويلاً في قراءةِ بعض الكتُب سوياً في ضيعةِ أبيها الصغيرة ..

أما جون ما كنمار فقـــد رَحَلَ عن نيو سالم ولم يكترث لِجفوتها وصُدودِها ، إذ أنّه كان شاباًّ عابثاً يحسَبُ أنه يَشتري بمالِهِ ما شاءَ من قلوبِ غيرها من النساء..

وغضِب والدُ آن غضباً شديداً عليها لأنَّها ضيَّعتْ ذلك الشابَّ الثريَّ ، ثُمَّ امتدَّ غضبُه بعـــد ذلك إلى أبراهام لنكولن حينما عَرَفَ أنَّه يَلْتقي بابنته ..

وفي مقابلةٍ ثائرةٍ بينه وبين ابنتِه أفهمها أنه لن يسمَحَ بزواجِها مِنْ ذلك المحامي الفقيرِ الغـــارقِ في الديون ، وأنَّه إذا تقدَّم لِيَطلبَ يدَها سيرفُضُ طلبَه..

وكانَ الرجل عنيداً شرِّيراً ، وعلم أبراهام أنه لن يتزَّوج مِن حبيبة قلبِهِ مادامَ أبوها الأَناني القاسي على قيد الحياة ..

وتذرّع أبراهام بالصَّبر ..

ولكن همومَه وأشجانَه ازدادت حينما حالَ الأبُ بينه وبين ابنته ومنعها من مقابلتِه منعاً باتاً وهدَّدها بأنَّه سيقْتلها هي وأبراهام إذا رآهما سويّاً ..

كان من المستحيل على مثلِ هذا الرجل أن يَفْهَم لماذا تهجُر ابنتُه الجميلة شاباً وسيماً ثرياً لتتزوجَ من

محـــام ٍ فقيرٍ غارقٍ في الديون قليل الحظ من الوسامةِ وأكبر سِنّاً من الشابِّ الذي تركته !.

وحزِنت آن حُزناً شديداً ..

وعزَفَتْ عن الطعام فصارت لا تتناولُ مِنْه إلاَّ النَّزْرَ اليسيرَ الذي لا يكادُ يَسُدُّ رَمَقَها ..

واشتدَّ نحولُها ..

ويقولون إنَّ أبراهام لنكولن تمكَّن من زيارتها في مرضِها الأخير فأكَّدَت له حبَّها وقالَتْ له :

ــ أعرفُ أنَّ نهايتي قد قرُبت، أنا لا تهمّني الحياة الدُّنيا يا أبراهـــام .. إنَّ روحي ستنتظرُ رُوحَك في السَّماء حيث الحبُّ الأبديُّ في رعايةِ الله ، لا تَحزنْ عليَّ كثيراً ،وليكنِ اهْتِمامُك بمستقبلِك فأنا أعرفُ أنَّك ستكونُ رجلاً عظيماً ..

ويقولون أيضاً إنها كانَتْ جميلَةَ الصوتِ ، وأنها غنَّت له أُغنيةً حزينةً في مرضِها ظلَّ يذكُرُها إلى آخرِ

أيام حياتِه ..

ولما اشتَدَّ بها المرَضُ ، أخبر الطبيب أباها ألاَّ أملَ في حياتها . لأَنها كانَتْ قــــد أصيبت بحمَّى الملاريا إصابة شديدة ولم يكُن عقارُ (الكينين) قد اكتُشِف وقتَها وأَثَّرت نوبَاتُ الحمى على قلبِها الرقيق .

وبكى الأَبُ ، واقتربَ من فراش ابنته ..

كان يعلَم أنها ما زالتْ تُحِبُّ لنكولن حُباً عميقاً ، فأراد أن يكفِّرَ عن قسوتِه فقالَ لها :

ــ علمتُ أن أبراهام لنكولن زارَك منذ أيام ، فلم أشأْ أن أقولَ لك شيئاً .. إنه إنسانٌ طيِّبٌ على ما يبدو :

وقالت له آن في صوتٍ خافت :

ــ أبتي .. أريدُ أن أراه مرةً أُخــــرى قبل أن أموتَ ، وليكُنْ اليومَ ، لأَني أعلمُ أن شَمْس الغدِ لن تَطلعَ عليَّ إلا وأنا جثَّةٌ هامدة ..

قال أبوها وهو يكبت دُموعه :

ــ لا تقولي ذلك يا آن .. ســـأذهبُ بنفسي إليه لإحضارِه ..

★ ★ ★

وزارَها لنكولن ..

زارها زيارةَ الوداع ...

وماتتْ آن فعلاً في اليوم التالي كما توقّعت ..

ولما عَلِمَ أبراهام بموتِها كادَ يُصَـــابُ بالجنون ، ولَبِثَ يبكي في شبه هِيستيريا حتى بُحَّ صوتُه وفقَدَ الوعْي ..

وتحدَّث كثيرٌ من المؤلفين عن حالةِ الحزنِ العميق التي انتابَتْ أبراهام لنكولن بعد أنْ اختطفَ الموتُ حبيبتَه ، فذكَرَ بعضُهم أنه كانَ يَسيرُ في الطُرقاتِ وفي الحقولِ على غير هُـــدى وأنه كانَ ينظُرُ إلى السماءِ ويُناديها ..

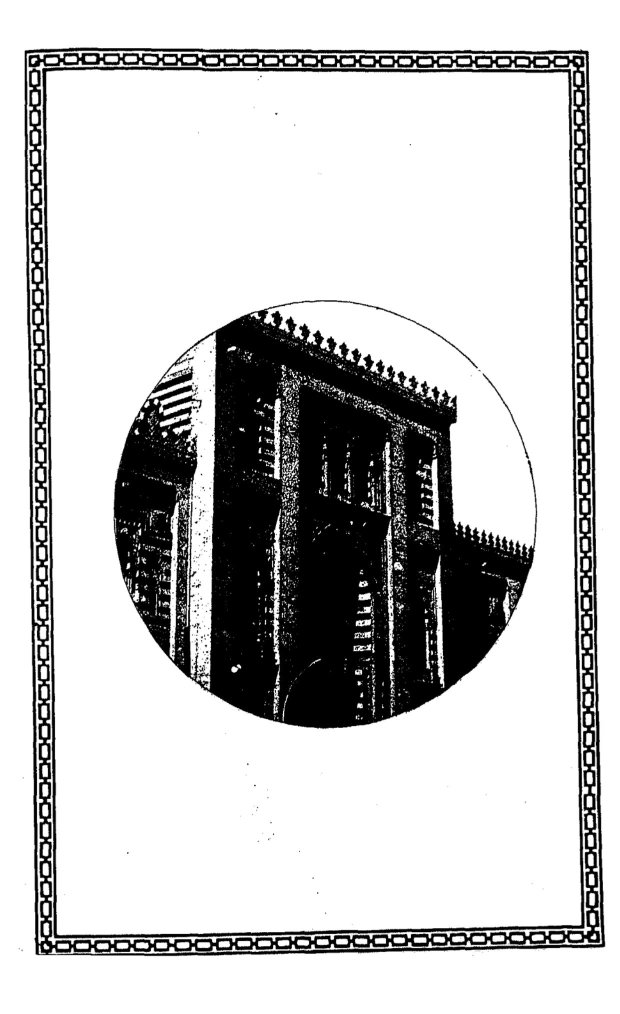
وذكر البَعْضُ الآخرُ أنه كان يذهَبُ إلى قبرها ليلاً ثُمَّ يفترشُ الأَرضَ ويلتحفُ السَّماء وينامُ إلى جِوار القبر حتى يوقظَه في الصباحِ حارسُ المقبرة ..

ذُكرت أمورٌ كثيرةٌ في هذا الصدد يَضيق المقامُ عن سرْدِها .

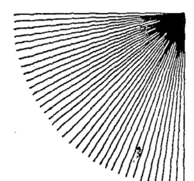
وهكذا أُسدِلَ الستارُ عن مأساةِ الحبِّ الأَولِ في حياةِ أعظمِ رجلٍ أَنجبتْه أمريكا الشمالية .

لم يُخففْ من أحزانِه إلا تردُّدُه على الكنيسة ، وقد قال في ذلك :

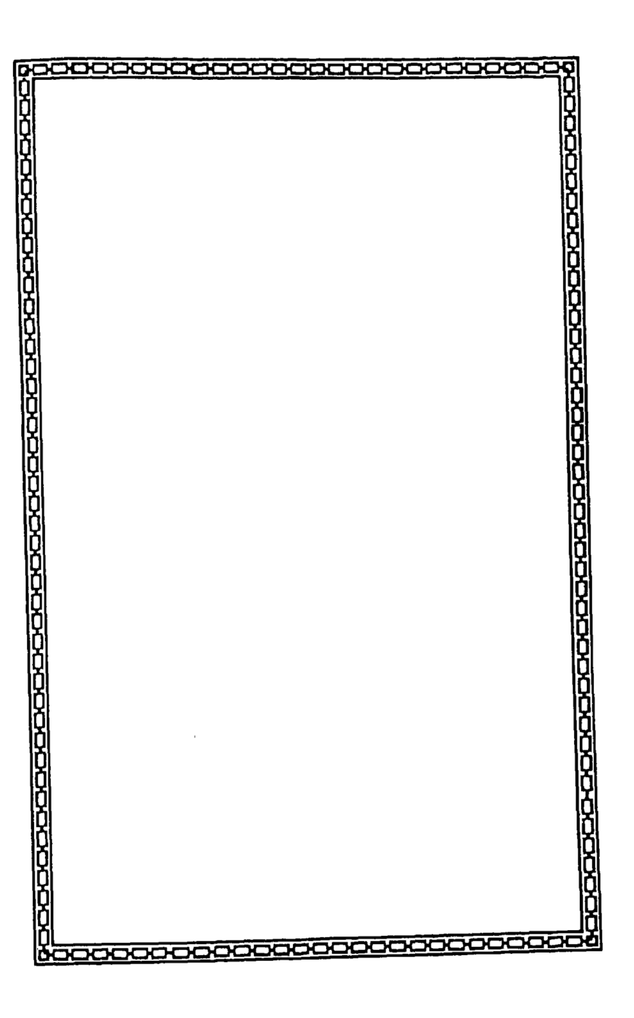
« كاد يقتلني الحزنُ بعد موتِ حبيبتي ، ولولا عمق إيماني برحمةِ اللهِ لقتلتُ نفسي ، ولكني دَفَنْت قلبي مَع آن بَعدْ موتِها » .



الفصل السادس



زواج لنكولن



وسادة الدموع

بعد موتِ (آن رتلدج) مرَّ أبراهام لنكولنُ كما ذكرنا بفترةٍ أليمةٍ غمرته إبّانها الهمومُ والأحزانُ ولكنه بقوةِ إيمانِه بالله وبانهماكِه في عمله تمكّنَ من أن يُخففَ عن نفسِه الشيءَ الكثيرَ من تلك اللَّوْعة ..

ولكنَّ بعضَ المؤرخين يؤكّدون أنَّ القَدَرَ ساقَ لَهُ بعد وفاة حبيبتِه بعامٍ تقريباً فتاةً تدعى (ماري أونيز) كانَتْ قد حضَرت إلى مدينةِ (نيو سالم) لتزور أُخْتَها المتزوجةَ هُناكَ .

لم تــكُنْ ماري جميلَةً ، وكانت بدينةً كما أن أسنَانها كانَتْ شِبه مُشَوّهة ، وكانَت فَوق ذلك في الخامسةِ والثلاثين من عُمْرها ، إلا أنَّ وَجهها كانَ جميلاً إلى حدٍّ ما .

وكانَتْ عاقِلةً مُتَّزِنَةً عطوفةَ القلبِ على قدرٍ غير قليلٍ من الثقافة .

التقى أبراهام لنكولن عدَّةَ مرَّات بماري أونيز ، ولاَحظَتْ شدَّةَ حزنِه على حبيبتِه التي ماتَتْ ، فجعلتْ ماري من نفسِها وسادةً تتشرَّبُ دُموعَه وأحزانَه ، وطفِقَتْ تُواسِيه وتُشجِّعُه على أنْ ينسى الماضي الحزينَ وينظُرَ إلى المستقبلِ في تفاؤلٍ واستبْشار .

وتعلَّق بها قلبُ أبراهام لنكولن فترةً من الزمنِ ، وكانَ واثِقاً من أنَّه لو تقدَّم بطلبِ يدِها لرَّحبَتْ به وقبِلَتْه زوجاً ، لأنها في نظرِه كانَتْ فتاةً « بائرة » فاتها قطارُ الزواج من مدةٍ طويلة ، ومثلُها - بلاشك - ستعتبرُ زواجَها منه جميلاً لن تنساهُ طوالَ حياتِها ، فتتَفانى في حبِّه ومعاونتِه وتكونُ زوجةً مثاليةً ..

ولكنَّ لنكولن تلقَّى صدمةً أليمةً لم يتوقَّعْ أنْ يتلقَّاها من أونيز هذه !.

لقد قابلَها في مَساءِ أحدِ الأيّام وحدَّثها صَراحةً بِرغْبتِهِ في الزواجِ منها وقال لها :

ــ آنسة ماري ، لقد فكّرتُ فيك وقتاً طويلاً، ثُمّ قرّرتُ أخيراً أنْ أخطُبك .

ونظرتْ إليه ماري في استِغْرابٍ وقالت له :

ــ إذا كنتَ قد قرَّرتَ ذلك فقد قَرَّرْتَ أمْراً لا تَملِكُ وحدَكَ اتّخاذَ أيَّ قرارٍ فيه .

وسألها :

ــ ماذا تُعنين ؟.

قالت له في بَساطة :

ــ إن ما أعنيهُ واضحٌ يا سيد أبراهـــام ، إنني لا أقبلْ خِطبتَك هذه .

ولم يُصدّق لنكولن أُذُنَيْهِ ! .

حَسِبها بادِىءَ ذي بَدءٍ تقولُ ذلك على سبيلِ الدّلالِ أو على سبيلِ الخجلِ والحياءِ . .

ولكنه ما لَبِثَ أن استوثق من أنَّ ماري أونيز تُصِرُّ فعلاً على رفْضِ خِطبته ..

وقد ظلَّت هذه القصةُ خافيةً عن الناسِ مدةً طويلةً حتى بيعت إحدى الرسائل المكتوبةِ بخط لنكولن بمبلْغ عشرين ألفٍ من الدولارات ، وكانَ أبراهامُ قد كتب هذه الرسالة لزوجةِ أحدِ أصدقائِه وكانَ يعتبرُها أختاً له فيُفْضي إليها بأسْراره ومشكلاته ..

كَتَبَ لنكولن إلى هذه السيدةِ عَنْ ماري أونيز وما حدَثَ له بعد أن رفضَتْ خِطبته ..

كتب يقول :

« مهما بَلغَ ذكاؤكِ يا سيدتي فَمَا كانَ في مقْدوركِ أن تَتَوقَّعي ما حدَث بيني وبينَ الآنِسة ماري أونيز ! . لقدطلبْتُ يَدَها ، وإذا بها تَصْدُمني بالرفض..وكرَّرْتُ الطلبَ مرةً ثانيةً ثُمَّ ثالثة فأصرَّتْ كذلِكَ على الرفض . لقد حسِبت بادىء الأمرِ أنها رفضَتني بدافعِ الحياء

المصطنَع ولكني لمَّا لمستُ إصرارها شعرت بأنها جرحت كبريائي، واستكثرتُ أن فتاة مثلها في حكم العانس ترفضني وهي التي لم يطمع فيها كزوجة أيُّ رجلٍ مِنْ قبلِي !.

ولكني واثقٌ من أنَّني سأنساها لأنها لا تستحِقُّ مني سوى النّسيان .. ».

ونسيها أبراهام فعلاً ..



الحُبُ الأَخير

يقولُ العقلاءُ إنَّ العبرةَ في حياة أيِّ رجلٍ ليست في حُبِّه الأول .. بل في حبِّه الأخير ، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة .

وشاء القدرُ أَنْ تكون (ماري تود Mary Todd) هي الحبّ الذي اختتمَ به أبراهامُ لنكولن حياة قلبِهِ العاطفية .

والغريبُ في الأمـرِ أنَّ (ماري تود) كانَتْ تَختلف عن أبراهام في كلّ شيء ..

كان هُو عِصامياً لم يَنْجحْ في تكوينِ أيَّةِ ثروةٍ خاصةٍ به وكانت هيَ من أسرةٍ أرستقراطيةٍ واسعـةِ الثَّراء ..

كانَ يعتبرُ نفسَه من أَصْل ريفيٍّ ، فقد نشأ وترَعْرَعَ بين الحقولِ ، ونَشأَتْ هِيَ في أوَجِ المدنيَّةِ ، فقد وُلِدَتْ في مدينةِ (لكسنغتون Lexington) ، كما كان أَبراهامَ لا يكترِثُ إطلاقاً بمظهرِه أو بملابسه وكانَتْ ماري تود لها شهرةٌ واسعةٌ في الأناقةِ واقْتناءِ أفْخرِ الثيابِ وأغلاها ثمناً .

قابَلها لنكولن في إحدى الحفلاتِ فأعْجبتْه .. كما أنّه أعْجبها ، ولكنها ظلّت تُحاورُه وتُداورُه أكثرَ من عامين حتى قيل أنّهُ مَرِض من أجْل صَدِّها له أحياناً وتَقرُّبِها منْه أحياناً أخرى ..

وأخيراً تزوَّجا في سنة ١٨٤٢ ميلادية ..

ويقول المؤرخ(وليامماكفيلي William Mac Feely)

إنَّ حياتَهما الزوجية كانَتْ تتميزُ بالخلافاتِ والمُشاجَراتِ ورغمذلك فالمعتقدُ أنهما كانا يَتبادلان حُبّاً عميقاً .

وهذا هُو نص ما ذكره وليام ماك فيلي عن حياة أبراهام مع زوجتِه ماري تود :

Their life was marked by piquant domestic quarrels, although it is thought that they were deeply in love .

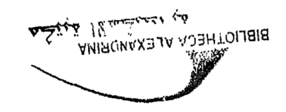
ومَا مِنْ شَكٌّ في أنَّ السيدةَ (ماري تود) كانَتْ عصبيَّةَ المزاجِ مرهَفةَ الإحساسِ ، وقــد ازدادَتْ أعصابُها توتُّراً لأنها فَقدت ثلاثةً من أولادِها هم (إدوارد) و(وليام) و (توماس) ، وكلُّهم ماتُوا في عمرِ الزهُور ، ولم يَبْقَ لها أو لزوجها أبراهامُ إلا ابنٌ واحدٌ هو : (روبرت تود لنكولن Rodert Todd Lineoln) وقد تخرَّج في جامعة (هارفارد) في عام ١٨٦٤ ثُمَّ اشتغَلَ بالمحاماة .

ويقول المؤرخُ (ماك فيلي) إنّ موتَ أبنائها كان من بينِ الأسبابِ التي أصابَتْها بعدمِ اتّزانِ قواها العقليةِ،

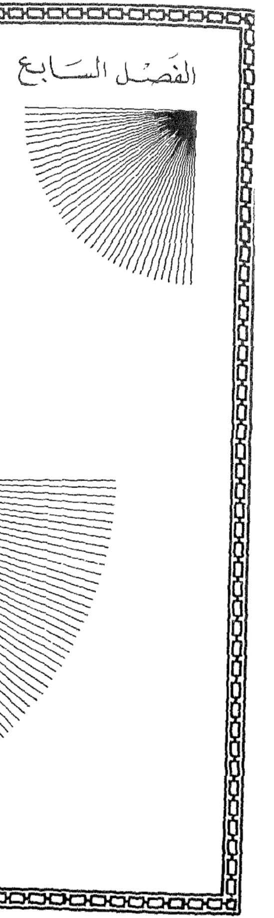
إذ المعروف أنها قضت أيامها الأخيرة في مستشفى للأمراض العقلية والعصبية، لأن حادثة مقتل أبراهام وهو يجلس إلى جوارها في مقصورة المسرح قضى على البقية الباقية من اتزان عقلها وأعصابها !.

★ ★ ★

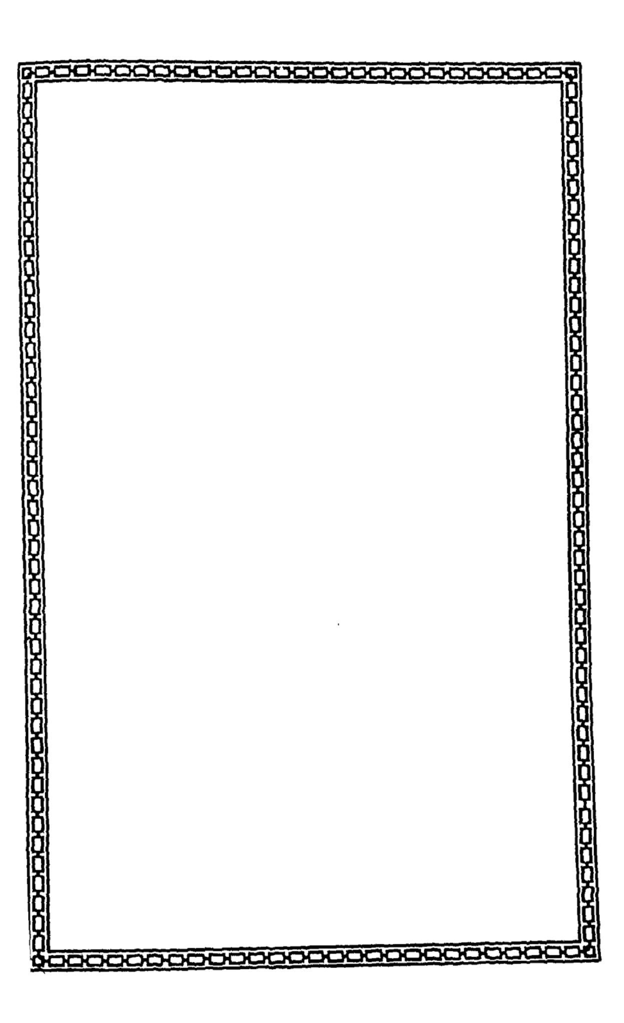
ومهما قيل عن السيدة ماري تود وأرستقراطيتها فما من شك في أنها هي التي دفعت أبراهام لنكولن إلى أن يرشح نفسه لعضوية الكونجرس الأمريكي، وهي أيضاً التي ألحت عليه لكي يرشح نفسه ليصبح الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية، ولقد اعترف لنكولن بذلك في مذكراته وفي بعض الأحاديث التي كان يدلي بها إلى الصحافيين.



الفصل السابع



الرئاسة



رَشَّحَ أبراهامُ نفسَهُ للرئاسَةِ وذلك عن الحِزْبِ الجمهوريّ الذي أوْدَعَ فيهِ ثقتَه المُطْلَقَةَ ..

وتوقّعتِ الأكثريّةُ العُظْمى فوزَهُ مُقَدَّماً بمنصِبِ رئيسِ الجمهوريّةِ لِمـــا كانَ يتَمَتَّع بِهِ من الصَّراحةِ والنَّزاهةِ والوطنيّةِ ولعصاميّتِهِ التي كانَ يُعجَبُ بها الأمريكيونَ بعد أنْ ذاقُـــوا الأَمرّينِ من حُكْمِ الطَّبقَاتِ الأَرِسْتقراطيّةِ الثّريّة.

ولم تَتغيَّرْ طباعُ أبراهامُ ولا أخلاقُه حينما فازَ بالرئاسة ..

كانَ يسيرُ في الطرقاتِ ويُصافِحُ الناسَ ويُضاحِكُهم كَما كَان يَفْعَلُ مِنْ قَبلُ ..

وكانَ في دارهِ يَفْتَحُ البَّابَ بنَفْسِه لزُوّارهِ ويُقابِلُهُمْ أحياناً بملابسِهِ المنزليّةِ وشَعْرهِ الأشْعَثِ ..

كانت مثلُ هذه التصرُّفات تُثير زوجته ماري تود الأَرستقراطيَّةَ المنبَتِ ، ولَطَالَمَا اصْطَدَمَتْ بزوَّاره وأَسَاءَتِ التَّحدُّثَ إليهم إذا حضَروا إلى الدَّارِ في أوقاتٍ تعتَبِرُها غيرَ مُناسِبةٍ .

* * *

إنَّ الحديثَ عن الأَعمالِ الجليلة التي قامَ بهـــا أبراهامُ لنكولنُ في أثناءِ رئاستِهِ يحتاجُ إلى مُجلَّداتٍ ضَخْمَةٍ .

إنَّ أبرزَ عملٍ في حياتِهِ بل في حيـــاةِ أمريكا الشمالية بأسرِها كان حِرْصَهُ واسْتماتَتَهُ لتحقيق وَحدةِ ولاياتِها ومُقاطعاتِها وحرْبَهُ الصَّارِمَةَ ضِـــدَّ كلِّ مَنْ حاوَلَ الانفصالَ .

والتاريخُ سجَّل وسيُسجِّلُ بالفَخارِ إلغاءَ أبراهامَ لنكولنَ للرِّقِّ والاستعبادِ على الرَّغمِ مِنَ الصِّعـــابِ الخطيرةِ التي لاقَاها في سبيل تنفيذِ الهدفِ الإنسانيِّ

النّبيلِ ..

وكانَ لنكولن أوّلَ مَنْ نَادَى بحُرِّيّةِ الصّحافَــةِ وأصرّ عليها لأنّها خيْرُ ضمانٍ لحرّيّةِ الأُمّةِ ..

إنَّ أهمَّ مبادِىء الحريةِ ومبادىء الإنســانيّةِ السّاميةِ التي يتضمّنُها الدّستورُ الأمريكيُّ الحـاليُّ وَضعَ بُذُورَهـــا الأُولى الرّئيسُ الرّاحِلُ أبراهامُ لنكولنُ ..

كانَتْ أولى بَيَانَاتِهِ إلى الصحفِ اليومية بعدَ أنِ انْتُخِبَ رئيساً تَنْصَبُّ على إيمانهِ المطلقِ بضرورةِ اتحادِ الولاياتِ الأمريكيةِ ، وذلِكَ لتجانُسِ سكانِهـــا ، ووَحدةِ البلادِ الطبيعيّةِ ،سواءٌ في سواحِلِها ،أمْ أنهارِها، أمْ جبالِها ، مِمّا يَسْتَلْزِمُ وجـــودَ وَحدةٍ سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ .

وقد عارضَ الجنوبُ فكرةَ الاتّحادِ ، وأعلنَتْ فعلاً سبعُ ولاياتٍ انشقاقَها وكوّنَتْ دولةً أمريكيةً

أخرى اختارتْ لها رئيساً كان اسمُه (جفرسون ديفس).

ومن الأمورِ التي جعلتْ أهلَ الجنوبِ يحقِدُونَ حِقْداً مريراً على لنكولنَ ما كانُوا يَعْرِفونَه عنه من أنَّه سَيُصدِرُ قانوناً يُلغي فيه الرّقَّ ، وكانُوا - كما قدَّمْنَا - يَعْتبرونَ امْتلاكَ الأرِقَّاءِ حقاً يَكْفُلُهُ الدُّستور ولا يتصَّورون أنْ يُصْبِحَ العَبْدُ يوماً متساوياً في حقوقِهِ وكرامتهِ مَعَ سيِّدِهِ !.

كانَ العبيدُ يُضْرَبونَ بالسِّياطِ ضَرْباً مُبرِّحاً ويُكَلَّفونَ بأعمالٍ شاقة وإذا تزوّجَ العبدُ فإنما زواجه فقط ليُصبحَ أبناؤه وبناتُه عبيداً لسيدِه ، أما زوجته فلِسَيِّده أو أبناء سيدهِ أن يَستَمْتِعُوا بها كامرأةٍ كيفما شاؤا ثُمَّ يُسَخِّرونها بعد ذلك في أحطّ الأعمالِ وأبعدِها عن الإنسانية ..

وما زَالتْ بعضُ النفوس حتى عصرنا هذا مريضةً بذلك اللونِ الأصفر الممقُوتِ من العُنْصُرِيَّةِ البغيضة .

* * *

وفاءُ منقطعُ النظير

قد يكونُ الإنسانُ عبقرياً ولكنه لا يكونُ عظيماً في شخصيتِه وإنسانيته ..

ولكنَّ أبراهام لنكولن كانَ عبقرياً فذّاً كما كان في نفسِ الوقت إنساناً على خُلُقٍ عظيم ..

حينما انتُخِبَ رئيساً للولاياتِ المتحدة الأمريكية وَجدَ نَفْسَهُ رغماً عنه مُحاطاً بكلِّ أوجهِ الإجلالِ والتبجيلِ، ولكنَّ هذا الجاهَ والهيلمانَ لم يُنْسِه فضلَ سيدةٍ فقيرةٍ متواضعةٍ كانَتْ بالنسبةِ له - كما قالَ - نِعم الأُم ..

تلك السيدةُ هي زوجةُ أبيه (سالي أو ساره بوش) .

كانَتْ زوجة أبيهِ تعيشُ في بيتٍ شديدِ التواضع في قريةٍ تشارلستون في ولاية إلينُوي ..

وكان عَلى أبراهام أنْ ينتقِلَ إلى مدينةٍ (واشنطن) حيثُ قصر الرئاسةِ المسمى بالبيتِ الأبيض

White House

ولكنه أَجّلَ مَوْعِدَ انتِقالِه لِيذْهَبَ بنفسِه إلى منزل زوجَةِ أبيه لِيَشْكُرَهَا ويُهَنِّئَها لأنّه كان يعتقدُ أنها السببُ فيما حقّقه في حياتِه من نجاح ..

واعترضت زوجتُه (ماري تود) على ذهابِه بنفسِه إلى ذلك المنزلِ الحقير الذي تسكُنه زوجةُ أبيه، وطلبت منه أنْ يُرسِلَ عدداً من الموظفين ليحضروها معزّزة مكرمةً إليه.

ولكنّ لنكولن العظيم رفضَ ذلك وقالَ لها :

ــ إنها أقدسُ امرأةٍ رأيتُها أو سَمِعتُ بهــا ، ومنزلُها الحقيرُ في عينيّ أعظم من البيتِ الأبيض ،

وفضلُها عليَّ لَنْ أنساهُ مَدَى حياتي ، ورِضاؤها عَنِّي أَحبُّ إليَّ ألف مرةٍ من رئاسة الجمهورية !.

وسَكَتَتْ ماري تود فقالَ لها لنكولن ..

ـ أُفضِّلُ أن تحضَرِي معي لزيارتِها قبل ذهابِنا إلى واشنطن.

ولـــكنَّ ماري تود رَفَضَتْ ذلِكَ ، ولم يغْضبْ أبراهام بَلِ ابتسم في هدوء وقال لها :

ـ كنتُ أعلمُ أنَّك سَتَرفُضين ! .

* * *

وأمطَرتِ السماءُ في ذلِكَ اليومِ الذي أرادَ فيه لنكولن أن يزورَ زوجةَ أبيه ..

انهمَرتِ الأمطارُ بشدةٍ وأصبحتْ أرضُ قريةِ شارلستون وطرقاتُها موحِلةً ..

ولكنه صمَّم على الذهاب ..

واتَّجه وحدَه إلى محطةِ القطار ..

وهناك عَلِمَ أن قطارَ الرُّكابِ ألغَت الشرِكةُ رِحلته إلى شارلستون لعَدَمِ وُجودِ عددٍ كافٍ من الركابِ بسببِ الأمطار .

وحَزِن أبراهام لنكولن لذلك ولكنَّه سَمِع صوتَ قطارٍ يقتربُ من المحطة وعَلِم أنه قطارٌ لنقْلِ البضائع وأنه ذاهبٌ إلى شارلستون ..

وصمَّم لنكولن على رُكوبِ قطارِ البضائع هذا!

كان الناسُ قد تجمهروا من حَوْلِه ليُحيوه ..

وقد ازدَادَ إعجابُهم بِه وبِتَواضُعِه حينما شَاهَدوه يَصْعَدُ إلى قِطَارِ البضائِع ويجلسُ بين أكياسِ البطاطا ويَبحثُ بينها عن مكانٍ يستريحُ فيه ..

عَلموا جميعاً أنَّ الرئيسَ الأمريكي يتحملُ كلَّ ذلك لكيْ يزورَ زوجةَ أبيه التي أكرَمَتْه في صِغَرِه بعد أن ماتت أمُّه .

لقد أكبروه لذلك وازدادَ حبُّهم له ..

ولما وصلَ به قطارُ البضائع إلى شارلستون، وقف القطارُ بعيداً عن رصيف المحطة لوجودِ قطارٍ آخر، فهَبَطَ أبراهامَ منه وصَارَ يخوضُ في الأوحالِ واضِعاً نَصْبَ عينيه الذهـــابَ إلى منزلِ تلك المرأةِ العظيمةِ السيدة سالي بوش ..

وكانَ عددٌ كبيرٌ جداً من الناسِ قد اجتمعَ على رَصيفِ المحطة .. وعرفوه فوراً حينما شاهَدوا رجـــلاً طويلَ القامة جداً يخوضُ في الأوحالِ فاندفعوا نحوَه وأحضَرَ بعضهم عربة يجرُّها جواد رَكبها أبراهام وانطلقَ بها إلى بيتِ زوجةِ أبيه سالي بوش ..

كانَتْ سالي بوش تنتظرُه أمامَ البابِ رغم ضَعْفِها الشَّديد وما كادَت تراهُ حتى تهلَّل وجْهُها بالفَرحـــةِ ولـكنَّها ما لبثتْ أنْ انفجرَتْ بالبـكاء، وهي تحتضِنُه ..

وبكَى أبراهامُ هو الآخرُ تأثّراً ثم انحنى على

يَدها وصار يقبلها ، ثُمَّ التفت إلى الناسِ الذين كانوا قد احتشدوا من حولهما وقال لهم :

ـ أشكركم.. كلُّ ما أرجـــوه مِنكم الآنَ أن تَدعوني مع أمِّي .. مع هذه السيدةِ العظيمةِ التي لَهَا أكبرُ فضلٍ عليَّ ..

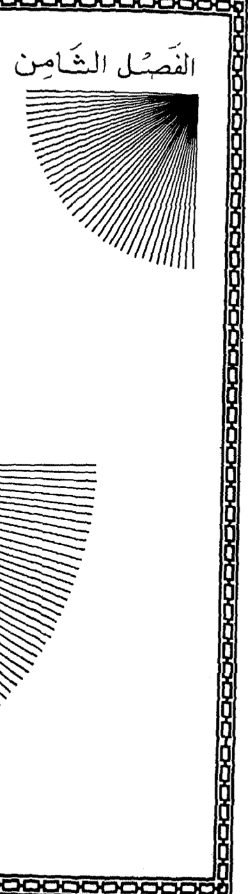
★ ★ ★

لقد لَبِثَ أبراهـــام لنكولن مع زوجةِ أبيهِ حتى تَناول مَعها طعامَ العَشاء ، ثُمَّ وَدَّعها وهو يُقبِّل يَدَها .

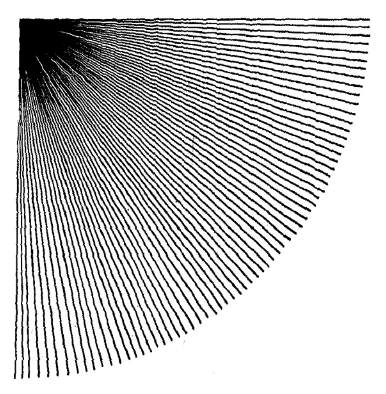
ويقول المؤلف (جون هاي) إن أبراهامُ أخبرَه أن تلك الساعاتِ التي قضاهـــا مع السيدة سالي بوش في بيتِها المتواضِع كانَتْ من أسْعَدِ ساعَاتِ حياتِه .

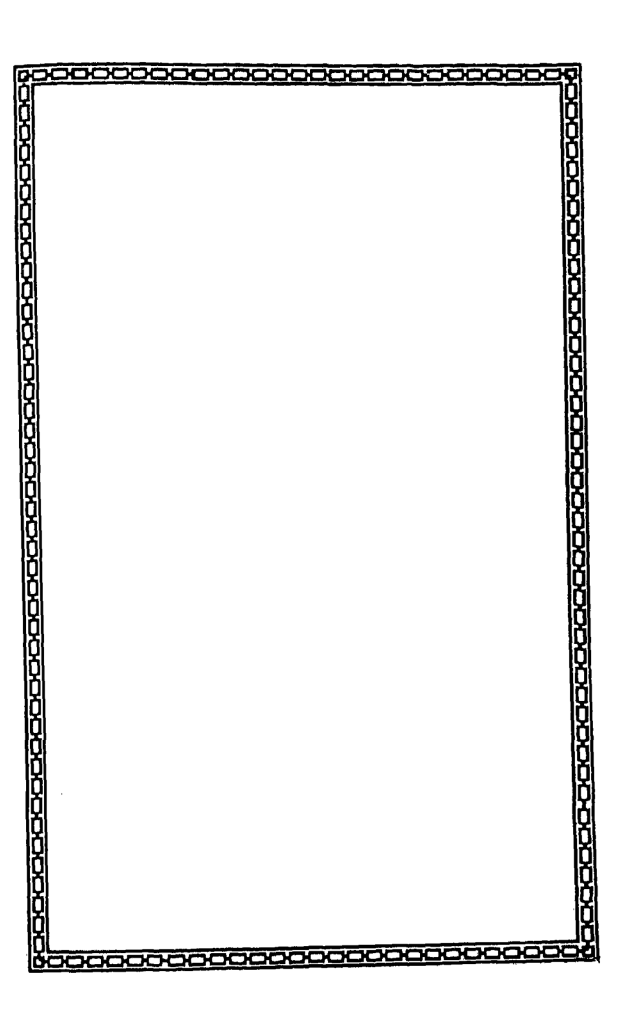


الفَصْل الثَامِن



مَقتَل لنكُولْن





أهم حادثٍ في حياةِ أبراهـــامَ لنكولنَ ،أو في حياةِ أمريكا الشّمالية بأسْرِها تِلْكَ الحرْب الأَهليَّةَ التي نَشَبَتْ بين الشّمالِ والجنُوب .

لقد أُلّفَتْ كتُبٌ كثيرةٌ عن هـــذه الحربِ ، وأحسنُ تلخيصٍ أو تركيزٍ عنها ما قالَهُ أبراهـام لنكولن نفسُه في إحدى خُطَبِهِ التي ألقاهَا على أعضاء الكونجرسِ :

قالَ لنكولنُ :

« لقد بَذَلْتُ كلَّ مَا في وسْعي ــ دُونَ جَدْوَى ــ لإنقاذِ الاتّحادِ ، دونَ نُشُوبِ حربٍ ، ولكنَّ عمـــلاء التَمَرُّدِ والانفصالِ كرَّسُوا كلَّ جهودِهم للقضاءِ على الاتّحادِ بدونِ حَرْبٍ أيضـــاً ، وأخيراً فضَّلوا هُمْ

إشعالَ نَارِ الحربِ على صِيانَةِ الأمّةِ ، بينما فضّلتُ أنَا قيامَ الحربِ على فَناء الأمّةِ التي كانت ستُفْنى حتماً بِدُونِ الاتّحادِ ».



الحُلمُ المُزعِج!..

يقولُ المؤلِّفُ (بول آنجِلْ) إنَّ ماري تود زوجةَ لنكولنَ رأتْه صَباحَ ذاتِ يومٍ مُتَّجِهاً مُقطِّبَ الجبينِ شارِدَ الفِكرِ فسألتْهُ عن سببِ ذلكَ فقال لها :

ــ لقد وَرَد ذِكْرُ الأَحلامِ كثيراً في الكتابِ المُقدَّسِ وغيرِهِ من الكتبِ الدينيَّةِ ، فهناكَ سِتَّةَ عَشَرَ إصْحَاحاً في العهدِ القديمِ وخمسةٌ في العهدِ الجديدَ ذُكِرَتْ فيها الأحلامُ ،حقاً إنَّ الأَحلَامَ الصَّادِقَةَ قلَّتْ هذهِ الأيامَ وذلِكَ لأنَّ الإيمانَ باللهِ قلَّ عند الناسِ ، إذ إنَّهم أصبحُوا يَجْرُونَ وراءَ المالِ غيرَ مُكترثِينَ باللهِ وملائكتِهِ ..

وسألتْهُ زوجتُهُ :

ــ وما عَلاقَةُ الاحلامِ بما أراكَ عليه من كآبةٍ ؟.

قالَ لَهَا :

ــ لقد رأيْتُ نفسي في مخيَّمٍ كئيبٍ يُسيطِرعليه سكونٌ يُشْبِهُ سكونَ الموتِ ، ثُمَّ تَنَاهَى إلى سَمْعِي أَنِينٌ خافِتٌ ثم علا ذلكَ الأَنينُ ، وإذا بي أُدْرِكُ أَنَّه من أناسٍ يبكونَ ! . فهبطْتُ إلى الطَّـــابِقِ الأوَّلِ من البيت الأبيضِ ، فوَجَـــدتُ الغُرَفَ جميعَها مضاءةً ومازِلتُ أَسمعُ بكاءَ الناسِ ولكنِّي لم أُشاهِدْ أحداً منهم ...

وذَهبْتُ إلى الغُرفةِ الشَّرقيَّةِ ، فرأيتُ فيها نَعْشاً وُضِعَتْ فِيه جُثّةٌ لُفّتْ بكَفَنٍ وحولَها جنودٌ يحرُسونَها وهم يَبكونَ .

وتقدَّمتُ مِن أحدِ الجنودِ وسألتُه :

ــ مَنْ ماتَ ؟ .

قال لي :

ـ إنه الرئيسُ أبراهامُ لنكولنُ ، لقد اغتالَهُ أحدُ المجرمينَ ولاذَ بالفِرارِ .

وتشاءَمتْ (ماري تود) حينَ سمعتْ ذلكَ منه ثُمَّ قالَتْ له :

ـ لَيتَكَ ما أخبَرتني بهـذَا الحُلمِ المُزعِجِ ، ولكنْ لا تَقلَقْ يا أبراهامُ إنَّ كثيراً من الأحلامِ هُراءٌ لا معنًى لها ..

وقالَ لها لنكولنُ :

ـ دَعِينَا مِنْ هـذا ، إذا كانَ ذلِكَ هو قَضاءُ اللهِ فلا حيلةَ لي إزاءَهُ ..

★ ★ ★

يقولُ المؤلِّفُ (كارل ساندبيرغ Carl Sandburg) إنَّ قاتِلَ لنكولن كانَ يَشتغلُ بالتمثيلِ وكانَ مُصـاباً بجنونِ العظمةِ ولذلِكَ أمكنَ للمتآمرينَ أن يَستَغلوه .

كانَ ذلك الممثلُ المجنونُ يدعى (جون ويلكس

بوث John Wilkes Booth).

وكان حاقداً على لنكولنَ لأنه كانَ من أنصارِ الانفصالِ وأرادَ أن يُشبِعَ جنونَ عظمتِهِ بقتلِ أعظم رجلٍ في تاريخِ الولايات المتحدة الأمريكية.

كانَ الرئيسُ لنكولنُ يُحِبُّ مشاهدةَ المسرحياتِ. وكان مَسرح (فورد) وقتها يعرضُ مسرحيةً ناجحةً اسمُها (ابن عمي الأمريكي My American Cousin).

وبلغتْ بهذا المجرم الجرأةُ إلى الحدِّ الذي دفعَه إلى كتابةِ بيانٍ عن الأسبابِ التي تَدْعـو إلى قتل أبراهامَ لنكولنَ وطبع عدة نسخٍ من هذا البيانِ أعطاهـا لزميلٍ له في مسرح فورد هـو الممثل (ماتيور) ، ولكنَّ هذا الأخيرَ لم يوزِّعها على الناسِ وكان ضبطُها عنده من الأدِلَّةِ التي كشَفَتْ فيما بعْد عن المشتركين في تِلك المؤامرةِ الدنيئة.

وقـد اختلَفَتِ الرواياتُ في ذِكْر تفصيلاتِ

جريمةِ الاغتيال ..

ولـــكنَّ الثابتَ منها أنَّ الممثلَ المجنونَ (بوث) أعدَّ جَواداً قوياً لِيهربَ به بعد ارتـــكابه الجريمة وتَركَه عِنْد البابِ الخلفيِّ للمسرحِ ، وكلَّفَ صبياً بحراسَتِه حتى يَعُودَ ، ووَعـــده بأنَّه سيُعطيه دُولارين .

ثُمَّ ذَهَب (بوث) إلى حانةٍ قريبةٍ وشَرِبَ بعضَ الخمر (كونياك) لِيبْعثَ في نفسِهِ الشجاعَةَ الآثِمة .

كان الرئيسُ لنكولنَ يَجلسُ في مقصورتِه بمسرحِ (فورد) .

وكانَتْ زوجتُه ماري تود تجلسُ إلى يَسارِه ، كما كانَ يجلسُ إلى يمينِهِ حارسُه الخاص وكان ضابطاً في الجيشِ الأمريكيِّ برتبةِ مُقدَّم واسمه (راثبون) .

كانَتْ خطّةُ القاتِل خبيثةً ، لأنه أرادَ أنْ يقتُلَ الرئيسَ ثُمَّ يُسْرِعَ إلى كوالِيس المسرحِ ويظهرَ

على خشبته في الدورِ الذي كانَ مُسْـنَداً إليه في المسرحيَّة ..

وتَسَلَّح القاتِلُ بمسدسٍ ، كما أخذَ معَه خِنجراً حتى إذا تعطَّل المسدسُ استعملَ الخِنجر .

وكانَ الجُمهور يُقـابِل بعض مَشاهِد المسرحية بالتصفيقِ الشديدِ ، فتسلَّلَ القاتلُ إلى خلفِ مقصورةِ الرئيس وربَضَ في الظلامِ حتى دوَّتْ الصالةُ بالتصفيق ، فتَقَدَّمَ نحو لنكولن وأطلقَ الرصـاصَ على مُؤَخر رأسِه ، فضَاعَ صوتُ الطلقةِ بين ضجةِ التصفيق .

ولكنَّ المقدَّم (رابثون) انتبه لِما حدث وهبَّ لينتزِعَ المسدسَ من القاتل ولَوَى يدَه التي بِهـا المسدسُ فأسقَطه على الأرْض وإذْ ذاكَ أخرجَ (بوث) خِنجرَه وطعنَ بِه رابثون طعنةً شديدة .

وأسرع القاتِلُ نحو خشبةِ المسرح ولكنَّه سقَط وكُسِرتْ ساقُه !.

وخابَتْ خطتُهُ التي كانَتْ تقضي بأن يَظْهر في دورِه على خشبةِ المسرحِ فأسرَعَ هــاربًا من البابِ الخلفيِّ ، ولما طالَبَهُ الصبيُّ الذي كانَ يحرسُ جوادَهُ بالدولارين ركله ركلةً شديدةً في بطْنه فسقَط الصبيُّ المسكين يتلوّى على الأرض..

وقد طُورِد القاتلُ وعصابتُه بعد ذلك ، ولكنَّه لم يقُل كلمةً واحدةً عن الأَسبابِ التى دفعتْهُ إلى ارتكابِ تلك الجريمة الوحشية ، لأَنَّ مُطارِديه وَجدُوه مقتولاً ولا يَعرِف أحدٌ إن كانَ قد انتحرَ أمْ قُتِل برصاصِ مطارديه ، أم أنَّ رِفاقَه في المؤامرةِ هُم الذين قتلُوه حتّى لا يَشيَ بهم .

وقُبِض بعد ذَلِك على أعضاء المؤامرة وحُوكموا أمامَ محكمةٍ عسكريةٍ فقُضِيَ على ثلاثة منهم بالإعدامِ شَنقاً أما الباقون فصَدرَت عليهم أحكامٌ بالسِّجن مَدَى الحيــاة .

أُصيبتْ ماري تود بصدمةٍ أليمةٍ وكانَتْ تبكي فيما يُشبه الجنونَ إلى جانبِ فراشِ زوجِها الذي نقلُوه إلى بيتٍ قريبٍ من المسرح وهو بيتُ رجلٍ كان يُدعى (بيترسون) .

كانَتِ الرّصاصَةُ قدِ اخترقَتْ موخّر رأسِ لنكولنَ واستقرّت خلفَ عينه اليسرى ، فلَبِثَ في غيبوبةٍ حتى لَفَظَ أنفاسَهُ الأخيرةَ في السّاعةِ السابعةِ والدقيقةِ الثانيةِ والعشرينَ من اليومِ الخامسَ عشرَ من شهر نيسانَ (إبريل) سنةَ ١٨٦٥ للميلادِ ، أي أنّه فارَق الحياةَ وهو في السادسةِ والخمسينَ من عمره .

* * *

وَوُضِعَ جسَدُهُ - كما رأى في حُلمِهِ - في الغرفةِ الشّرقيّةِ بالبيْتِ الأبيضِ ، ونُثِرتْ عليهِ الزّهورُ ووَقَفَ الجنودُ الذين يحرسُونَهُ يبكونَ ، واشتدَّ صُراخَ الجماهيرِ وأُغمِيَ على الكثيرينَ ووُضِعَ على التّابوتِ دِرْعٌ مِنَ

الفِضّةِ نُقِشَ عليه :

أَبراهامُ لنكولنُ

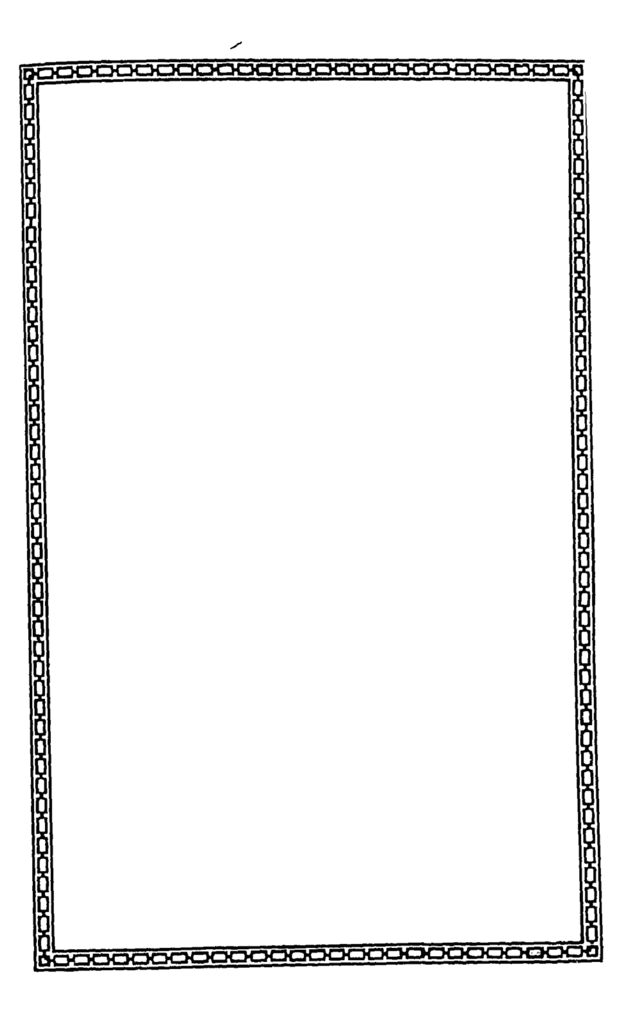
الرَّئيسُ السَّادِسَ عشَرَ للولاياتِ المتَّحدة

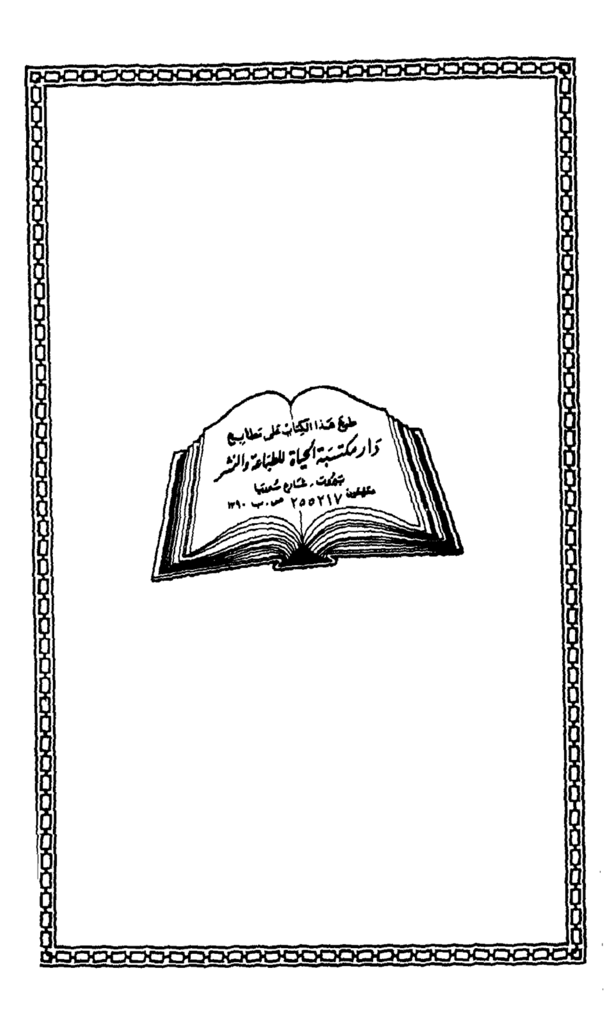
وُلِدَ في ١٢ شباطَ (فبراير) ١٨٠٩

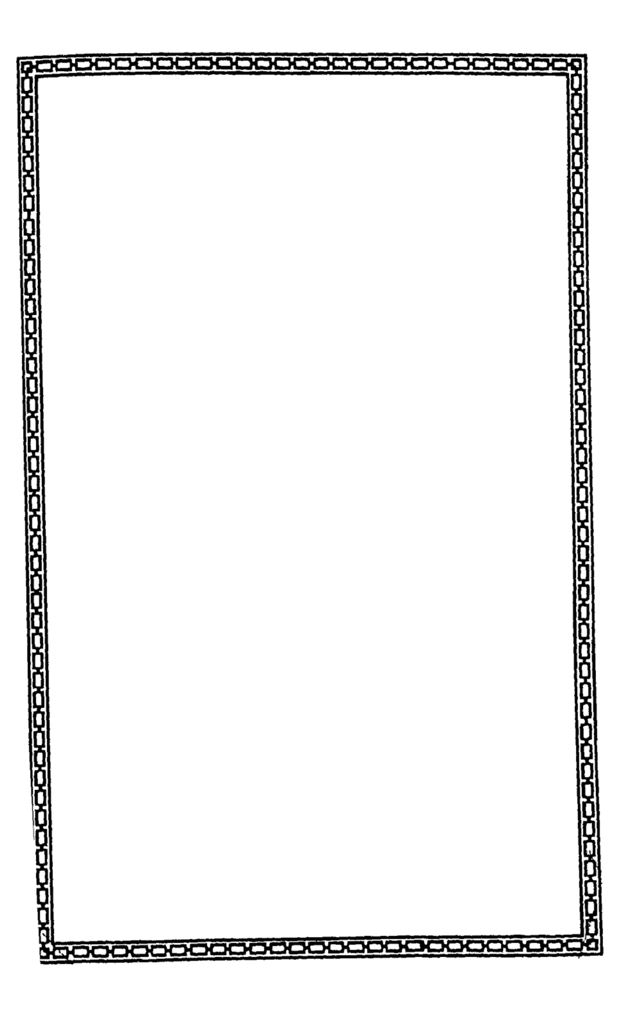
وتُوفِّيَ في ١٥ نيسانَ (إبريل) ١٨٦٥

وهكَذا أسْـدِلَ السِّتارُ على حياةِ ذلِكَ البَطَلِ العبقَريّ العَظيم .






طبع هذا الكتاب على مطابع
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
بيروت ـ شارع سوريا
تلفون ٢٥٥٢١٧ ص.ب ١٣٩٠



منشورات المكتب العالمي بيروت
للطباعة والنشر